وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد زبانة – غليزان

مطبوعة بيداغوجية بعنوان

مدخل الى علم الاجتماع

موجهة إلى طلبة

السنة اولى علوم اجتماعية

من إعداد الدكتورة

درامشية لمياء

الموسم الجامعي 2026/2025

غليزان: 2025/11/04

الأستاذة: درامشية لمياء

أستاذة محاضرة "أ"

قسم علم الاجتماع والفلسفة

الى السيد (ة): رئيس اللجنة العلمية

الموضوع: طلب تحكيم مطبوعة بيداغوجية

يشرفني أن أتقدم الى سيادتكم الموقرة بهذا الطلب والمتمثل في تحكيم مطبوعة بيداغوجية في مقياس مدخل الى علم الاجتماع الموجهة الى طلبة السنة الأولى علوم اجتماعية جذع مشترك للموسم الجامعي 2026/2025 مع العلم أن هذا المقياس سداسي

وأقترح اللجنة الاتية أسماؤهم للتحكيم:

-أ.د بن حميدة هند	أستاذ تعليم عالي	جامعة غليزان
-أ.د/ مزاري فاطمة	أستاذة تعليم عالي	جامعة غليزان
-أ.د/ جلود رشيد	أستاذ تعليم عالي	جامعة الجلفة

في الأخير تقبلوا مني فائق الشكر والاحترام

المعني

الفهرس:

الفهرس:.....3
مقدمة عامة للمطبوعة: 8
المحور الأول: مفهوم علم الاجتماع 12
1. تعريف علم الاجتماع 12
2. نشأة علم الاجتماع.....17
3.مقاربات العلماء لتعريف علم الاجتماع:.....22
المحور الثاني: تاريخ علم الاجتماع من الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع 27
1. الفكر الاجتماعي عند الحضارة اليونانية: 31
2. الفكر الاجتماعي عند الحضارة الفرعونية: 33
3.الفكر الاجتماعي عند المسلمين: 34
4.الفكر الاجتماعي في القرنين(17-18): 34
المحور الثالث: موضوع علم الاجتماع 36
المحور الرابع :رواد علم الاجتماع: 37
1. ابن خلدون : 37
2.أوجست كونت: 48
3.ماكس فيبر: 52
4.كارل ماركس: 58
5.إميل دوركايم: 69
المحور الخامس : المداخل الكبرى في علم الاجتماع.....76
1. المدخل الوضعي: 76

2. المدخل الماركسي..... 81
المحور السادس: مجالات علم الاجتماع..... 84
1. الطب: 84
2.الهندسة: 86
3.الفيزياء:..... 87
4.علم الأحياء(البيولوجيا): 88
5. فروع علم الاجتماع: 89
المحور السابع: المنهج(Method) 93
1. تعريف المنهج..... 93
2. البحث الاجتماعي(Social Research) 93
3. علم الاجتماع(Sociology) 94
4. تصور عام حول المنهج في العلوم الاجتماعية..... 95
المراجع:..... 118

عنوان الليسانس: علم الاجتماع العام

السداسي: الأول

اسم الوحدة: تعليم أساسية

اسم المادة: مدخل إلى علم الاجتماع

الرصيد: 05

المعامل: 02

الحجم الساعي خلال السداسي: 45 ساعة

الحجم الساعي الأسبوعي: 1سا و30د (محاضرة) 1سا و30د (أعمال موجهة)

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة (40%) + امتحان (60%)

أهداف التعليم:

1) معرفة ظروف نشأة علم الاجتماع وتطوره.

2) معرفة رواد علم الاجتماع وإسهاماتهم.

3) معرفة هوية علم الاجتماع (موضوعه، مفاهيمه، مناهجه ونظرياته).

4) معرفة علاقة علم الاجتماع ببعض العلوم الأخرى.

المعارف المسبقة المطلوبة:

1) مكتسبات في بعض المفاهيم الاجتماعية.

2)قدرات أولية على التحليل والتنظير.

3) معارف حول التطور التاريخي للإنسانية.

القدرات المكتسبة:

1) القدرة على التمييز بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى.

2) القدرة على التمييز بين الظواهر الاجتماعية وغير الاجتماعية.

3) القدرة الفهم والتمييز بين إسهامات رواد علم الاجتماع.

4) القدرة على استيعاب واستعمال المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع.

محتوى المادة:

أولا: مفهوم علم الاجتماع (الحصة 1)

ثانيا: تاريخ علم الاجتماع (من الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع) (الحصة 2+3)

ثالثا: موضوع علم الاجتماع (الحصة 4)

رابعا: رواد علم الاجتماع (الحصة 5+6)

- **ابن خلدون**
- **أوجست كونت**
- **كارل ماركس**
- **ماكس فيبر**
- **دوركايم**

خامسا: المداخل النظريات الكبرى في علم الاجتماع (الحصة 7 إلى 9)

المدخل الخلدوني

المدخل الوضعي (وما تفرغ عنه)، (النظرية الوظيفية، النظرية البنيوية، نظرية الفعل)

المدخل الماركسي (وما تفرغ عنه)، (النظرية الماركسية، النظرية الماركسية المحدثة)

سادسا: مجالات علم الاجتماع (الحصة 10)

سابعا: علم الاجتماع والمنهج العلمي (الحصة 11)

ثامنا: مفاهيم أساسية في علم الاجتماع (الحصة 12+13)

- **المجتمع**
- **الجماعة الاجتماعية**
- **العمليات الاجتماعية**
- **الفرد والشخصية**
- **الفعل الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي**
- **النظم والأنساق والسمات والرموز**
- **المركز والدور**
- **التغير الاجتماعي والتطور والنمو**

تاسعا: علاقة علم الاجتماع ببعض العلوم الأخرى (الحصة 14+15)

- **الفلسفة**
- **علم النفس**
- **علوم التربية**
- **الأنثروبولوجيا**
- **العلوم السياسية**
- **العلوم الاقتصادية**
- **العلوم القانونية والإدارية**
- **العلوم الطبي**

مقدمة عامة للمطبوعة:

يمثل علم الاجتماع أحد المداخل الأساسية لفهم الحياة الاجتماعية، إذ يعدّ الإطار المعرفي الذي يُمكّن الطالب من التفكير بشكل علمي ومنهجي في الظواهر التي تحيط به داخل مجتمعه وفي المجتمعات الأخرى، إنّ أول ما يحتاجه طالب علم الاجتماع في بداية مساره الأكاديمي هو أن يكوّن نظرة أولية واضحة وشاملة عن هذا العلم، وعن مجاله، وتطوره، وأدواته، وأهميته في فهم السلوك الإنساني ضمن الإطار الاجتماعي والثقافي.

تنبع أهمية هذا المقياس من كونه يمثّل حجر الأساس الذي تبنى عليه باقي المعارف السوسيولوجية لاحقا، فهو ليس مجرد مادة دراسية، بل هو مدخل حيوي يهيّئ الطالب لاكتساب القدرة على التحليل والفهم النقدي للواقع الاجتماعي، كما يساعده على التمييز بين المعرفة العلمية والمعرفة العامة أو الانطباعية، لذلك فإن هذا المقياس يحتلّ مكانة محورية في التكوين الجامعي لطلبة العلوم الاجتماعية، خاصة في السنة الأولى حيث تغرس اللبنات الأولى للفكر العلمي والسوسيولوجي.

تهدف هذه المطبوعة البيداغوجية إلى مرافقة الطالب في رحلته الأولى داخل عالم علم الاجتماع، وذلك من خلال تقديم محتوى علمي مبسّط، ومنظّم يغطي المفاهيم الأساسية، والسياقات التاريخية لنشأة هذا العلم، وكذا رواده البارزين ومناهجه الأساسية، وتركّز المطبوعة أيضا على تقديم شرح وافي للعلاقات التي تربط علم الاجتماع بالعلوم الإنسانية الأخرى، مما يسمح للطالب ببناء تصور شامل عن حقل العلوم الاجتماعية ككل.

وقد تم إعداد هذه المطبوعة بأسلوب تعليمي تفاعلي، يجمع بين الطرح النظري المدعّم بأمثلة واقعية، وبين تمارين وأنشطة تطبيقية تحفّز الطالب على التفكير والنقاش واختبار مكتسباته، لذلك، ينصح الطالب بقراءة كل محور بتأن، ومراجعة الأسئلة المرفقة في نهاية كل وحدة تعليمية، والرجوع إلى المراجع المقترحة لتوسيع أفقه المعرفي، بما يرسّخ لديه مبدأ التعلم الذاتي والمسؤول.

إن هذه المطبوعة ليست بديلا عن المحاضرات أو الدروس التطبيقية، بل هي أداة مرافقة تهدف إلى تعزيز فهم الطالب للمادة، وتوفير أساس معرفي متين يمكنه من متابعة دراسته الجامعية بثقة ووعي أكبر بمجاله التخصصي.

- **مكانة المقياس في التكوين الجامعي:**

يحتل مقياس "**مدخل إلى علم الاجتماع**" مكانة محورية في مسار التكوين الجامعي لطلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية، فهو لا يعدّ فقط أول لقاء أكاديمي للطالب مع علم الاجتماع، بل يمثّل الإطار المرجعي الذي يؤسس فهمه للمفاهيم الأساسية والمنهجية التي سيبني عليها معارفه في السنوات القادمة.

من خلال هذا المقياس، يبدأ الطالب في الانتقال من التفكير العام والعفوي إلى التفكير العلمي والمنهجي، ويتعرّف على أسس التحليل السوسيولوجي، وأهم المفكرين الذين ساهموا في نشأة وتطور هذا العلم، كما يمكّنه من التمييز بين الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية، ويزرع فيه روح الملاحظة والتفكير النقدي تجاه الظواهر التي يعيشها أو يلاحظها في محيطه.

لهذا، فإن هذا المقياس لا يدرّس فقط لمجرد التعريف بعلم الاجتماع، بل لتكوين الطالب تكوينًا علميًا متينًا يؤهله لفهم الواقع الاجتماعي وتحليله بموضوعية، ويعدّ بالتالي بوابة ضرورية لفهم باقي المقاييس المتخصصة في السنوات القادمة، مثل علم الاجتماع العام، علم الاجتماع التربوي، علم الاجتماع الحضري، وغيرها.

- **أهداف المطبوعة (ماذا يتعلم الطالب؟):**

تهدف هذه المطبوعة البيداغوجية إلى تقديم مادة علمية مبسطة، مدروسة، ومنظمة، تتيح لطالب السنة الأولى فهما أوليا واضحا لعلم الاجتماع كحقل معرفي مستقل، فهي لا تكتفي بعرض المعلومات النظرية، بل تسعى إلى بناء عقلية نقدية قادرة على التساؤل والتحليل والانفتاح على الواقع الاجتماعي من منظور علمي.

- **من خلال هذه المطبوعة، يتعلّم الطالب:**

المفاهيم والمصطلحات الأساسية في علم الاجتماع؛ مثل: **الظاهرة الاجتماعية، القيم، البناء الاجتماعي، التنشئة، الثقافة، وغيرها.**

الأسس التاريخية والفكرية التي قامت عليها نشأة علم الاجتماع، وأهم المساهمين في بلورته كمجال علمي.

- مجالات اهتمام علم الاجتماع ومكانته بين العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- المناهج التي يعتمد عليها الباحث السوسيولوجي في دراسة الظواهر.
- الفرق بين التفكير العفوي والتفكير السوسيولوجي العلمي.

كما ترمي المطبوعة إلى تنمية الحس السوسيولوجي لدى الطالب، وتدريبه على استخدام أدوات الملاحظة والتحليل الاجتماعي بطريقة علمية، مما يؤهله تدريجيا لبناء شخصية الباحث الاجتماعي الواعي بتعقيدات المجتمع ومشكلاته.

- **طريقة استخدام المطبوعة:**

تم تصميم هذه المطبوعة لتكون أداة مساعدة مرنة ومرافقة فعّالة للطالب خلال مساره الدراسي في مقياس "**مدخل إلى علم الاجتماع**"، وهي ليست بديلا عن المحاضرات أو الأعمال الموجهة، بل هي مكمل لها، تساعد الطالب على تثبيت المفاهيم، ومراجعة المعلومات، وربط النظري بالواقع.

للاستفادة المثلى من هذه المطبوعة، ينصح بما يلي:

- قراءة كل محور من المحاور بالتسلسل، وبتركيز، مع تدوين الملاحظات والأسئلة التي قد تطرأ أثناء القراءة.
- التوقف عند المفاهيم الأساسية وفهمها جيدا قبل الانتقال إلى المفاهيم الأكثر تركيبا.

- الإجابة على الأسئلة والتمارين المقترحة في نهاية كل محور، فهي وضعت خصيصا لتقوية الفهم وتنمية التفكير النقدي.
- الرجوع إلى المراجع المقترحة لتعميق الفهم وتوسيع أفق المعرفة، خاصة بالنسبة للطلبة الذين يرغبون في التميز.
- استخدام المطبوعة كمرجع دائم طوال السنة، لا فقط عند اقتراب الامتحانات، لأنها تعزز التعلم المتدرج والمنهجي.
- كما يشجَّع الطالب على مناقشة محاور المطبوعة مع زملائه أو مع الأستاذ، فالنقاش الجماعي يُعدّ من الوسائل الفعالة لترسيخ الفهم، واكتساب مهارات

المحور الأول: مفهوم علم الاجتماع

1. تعريف علم الاجتماع

قبل أن نشرع في تحديد مفهوم علم الاجتماع وتحديد مجاله المعرفي، لا بد أن نتوقف عند البنية العامة للوجود الذي نعيش فيه، والذي يتكون من ثلاث مستويات أساسية:

أ. الوجود المادي :ويشمل الظواهر الطبيعية المحيطة بالإنسان مثل الأرض، التضاريس، المناخ، والمياه بمختلف أشكالها من بحار وأنهار ومحيطات.

ب. الوجود العضوي :ويتضمن الكائنات الحية من نباتات، حيوانات، كائنات دقيقة وغيرها، والتي تتم دراستها من خلال العلوم البيولوجية.

ج. الوجود الاجتماعي :وهو الوجود الأهم من منظور علم الاجتماع، حيث يتعلق بالبشر، وسلوكهم الجمعي، وتفاعلاتهم، وتنظيمهم الاجتماعي عبر قيم، معايير، مؤسسات، وبنى تراتبية تمنح الحياة طابعها الثقافي والاجتماعي.

وقد أنتج التطور العلمي الحديث مجموعة من التخصصات العلمية لدراسة هذه المستويات:

- الوجود المادي تدرسه علوم مثل: الجيولوجيا، علم المناخ، علم البيئة.
- الوجود العضوي تدرسه علوم الحياة (البيولوجيا)، علم التشريح، وعلوم وظائف الأعضاء.
- أما الوجود الاجتماعي، فقد ظهرت لدراسته العلوم الاجتماعية مثل: علم الاجتماع، علم النفس، علم الاقتصاد، والعلوم السياسية.

وهنا تبرز الحاجة العلمية إلى علم الاجتماع بوصفه فرعا معرفيا يعنى بدراسة هذا الوجود الاجتماعي دراسة علمية منهجية.

- **علم الاجتماع كعلم مستقل:**

يعد علم الاجتماع واحدا من أهم العلوم الاجتماعية التي ظهرت لتفسير وفهم تنظيم الحياة الاجتماعية، والعلاقات الإنسانية، والتحولات التي تطرأ على المجتمعات، فالمجتمع ليس مجرد تجمّع للأفراد، بل كيان منظم يقوم على منظومة من التفاعلات، والأدوار، والقيم التي تحتاج إلى تحليل علمي دقيق.

يتميّز علم الاجتماع بـ:

- كونه علمًا وصفيا، تحليليا، تفسيريا.
- اعتماده على مناهج علمية دقيقة.
- انشغاله بفهم الظواهر الاجتماعية، والكشف عن قوانينها، وسبل تطورها.
- ارتباطه الوثيق بحل المشكلات الاجتماعية، وتوجيه السياسات الاجتماعية.
- سعيه لفهم أدوار الأفراد داخل المجتمع، وتعزيز تكيفهم مع الظروف المتغيرة.

- **إشكالية تعريف علم الاجتماع:**

رغم وضوح ميدان علم الاجتماع، إلا أن الباحثين لم يتفقوا على تعريف موحّد له، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب:

- تعدد التراث النظري في علم الاجتماع منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى اليوم.
- اختلاف المحاور الأساسية التي يعتمدها كل باحث في تحديد موضوع علم الاجتماع (العلاقات، الظواهر، التنظيمات).
- تباين المرجعيات الفكرية والأيديولوجية لدى العلماء والباحثين.

- الأيديولوجيا هي منظومة فكرية تفسر الطبيعة والمجتمع والإنسان، وتوجه رؤية الجماعات بناءً على بيئتها ومصالحها.[1]

- **تعريفات علم الاجتماع:** لقد بذل عدد كبير من العلماء جهودا مضنية لتكوين تعريف شامل وموحد لعلم الاجتماع، رغم اختلاف المدارس الفكرية والتيارات الأيديولوجية المتعددة التي تناولته، ومن خلال هذا التنوع، يمكننا تلخيص أهم التعريفات على النحو التالي:

- علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس المجتمعات الإنسانية، ويركز على التفاعلات والعلاقات بين أفراد هذه المجتمعات، بالإضافة إلى دراسة الظواهر الاجتماعية، وذلك لفهم كيفية تشكل وتنظيم المجتمعات البشرية وارتباط أفرادها كأعضاء داخل مجموعات ومؤسسات اجتماعية مختلفة.

- **شرح وتعليق:** يعني هذا أن علم الاجتماع لا يقتصر فقط على دراسة الأفراد بشكل منفرد، بل يولي أهمية كبيرة للكيفية التي يتفاعل بها هؤلاء الأفراد مع بعضهم البعض ضمن إطار اجتماعي، فالمجتمع ليس مجرد مجموعة من الأفراد، بل هو نظام متكامل يتشكل من علاقات اجتماعية متشابكة تؤثر وتتأثر بسلوكيات أفراده.

- **مثال توضيحي:** إذا نظرنا إلى عائلة أو إلى فريق عمل أو حتى إلى مجتمع صغير، فإننا لا ندرس الأفراد بمعزل عن بعضهم، بل ندرس كيفية تواصلهم، قوانينهم غير المكتوبة، القيم التي يتشاركونها، وتأثير هذه العوامل على سلوكهم الجماعي والفردي.

[1] – القمني، سيد. 2003. الحزب الهاشمي: وتأسيس الدولة الإسلامية .القاهرة: مدارات للنشر.

- ويعرفه ماكس فيبر على أن علم الاجتماع هو العلم الذي يهتم بفهم النشاط الاجتماعي وتفسيره، بالإضافة إلى تبيان حدوده ونتائجه النسبية (Max Weber: 1995, p.28)[1].

- **شرح وتعليق:** فيبر يركز هنا على "الفهم (Verstehen) "للنشاط الاجتماعي، أي أن الباحث الاجتماعي لا يكتفي بالمراقبة الخارجية لسلوك الأفراد، بل يسعى إلى فهم الدوافع والمعاني التي يحملها هؤلاء الأفراد لأفعالهم، كما يشير إلى أن النتائج التي يتوصل إليها الباحث تكون نسبية لأنها تتأثر بالسياقات الثقافية والاجتماعية.

- كما يعرفه معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنه: "دراسة وصفية تفسيرية مقارنة للمجتمعات الإنسانية كما تبدو في الزمان والمكان، للتوصّل إلى قوانين التطور التي تخضع لها هذه المجتمعات في تقدمها وتغيرها".[2]

- ويورد معجم المعاني الجامع التعريف التالي":علمٌ يبحث في نشوء الجماعات الإنسانية ونموّها، طبيعتها، قوانينها ونظمها".[3]

- كما يعرفه الباحثون المعاصرون بأنه: "العلم الذي يدرس المجتمع لفهم نظامه وتفسير تغيره، والكشف عن قوانينه ومشكلاته، ووضع الحلول العلمية الممكنة لها".[4]

عموما، يمكننا اعتبار علم الاجتماع على أنه العلم الذي يدرس الوقائع والظواهر والأحداث والحقائق الاجتماعية، إضافة إلى دراسة الأفراد وسلوكياتهم وعلاقاتهم مع بعضهم البعض ضمن سياق تفاعلي اجتماعي محدد، كما يهتم بدراسة الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية[5].

---

[1] –Max Weber: Economie et société, Poquet, 1995, p.28.

[2] – السويدي، سامي. 2005 .معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية .بيروت: دار الروافد الثقافية.

[3] – المعاني. 2024. معجم المعاني الجامع.

[4] – عبد الرحمن، عمار.2012 .مدخل إلى علم الاجتماع .القاهرة: دار الفكر العربي.

[5] – حيل فداوي: مقدمة في علم الاجتماع، 2015، ص.10.

كما يعتبر علم الاجتماع ذلك الحقل المعرفي الذي يختص بدراسة المجتمع الإنساني في أبعاده المختلفة، سواء من حيث أنماط التفاعل الاجتماعي، أو السلوكيات الفردية والجماعية، أو طبيعة العلاقات التي تنسجها البنى الاجتماعية داخل الفضاء الجمعي، وقد عرّفه **غدنز** بأنّه "المدرسة العلمية للمجتمع"، فيما اعتبره **تدوارد روس** "علم المجتمع" بامتياز، أي العلم الذي يجعل من الظاهرة الاجتماعية موضوعًا للتحليل المنهجي.

وتتجلى خصوصية علم الاجتماع في كونه يتناول ما يبدو مألوفا لدى الأفراد – أي تفاصيل الحياة اليومية التي يعرفها كل إنسان – لكنه يعيد صياغتها في إطار نظري ومفاهيمي يجعلها أكثر تركيبًا، بحيث قد تبدو عصيّة على الفهم عند غير المختصين. فالخطاب السوسيولوجي يستمد مادته من التجارب الإنسانية المباشرة، غير أنّه لا يكتفي بجمعها، بل يفسرها في ضوء منظومات نظرية متعددة، بغية الكشف عن القوانين الاجتماعية الكامنة خلفها.

كما يعنى علم الاجتماع بدراسة المجتمعات الحديثة والمعقدة التي تتسم بارتفاع مستويات المعيشة وتشابك أنماط الحياة وازدياد التحديات الحضارية والإنسانية. ورغم ما تحققه هذه المجتمعات من تكامل مؤسساتي، فإنّ البنية المؤسسية فيها كثيرًا ما تظلّ عصيّة على الملاحظة المباشرة نظرًا لتشابك قوانينها وتداخلها مع الموروثات الثقافية والعادات والتقاليد والسوابق الاجتماعية؛ وهو ما يجعل من تحليل وظائفها وتفسير أدوارها مهمة علمية دقيقة.[1]

أما رواد هذا العلم، فقد سعى كل منهم إلى وضع تعريف يبلور ملامحه: فـ**أوغست كونت**، مؤسس السوسيولوجيا الحديثة، اعتبره العلم الذي يهتم بدراسة المجتمع وفق منهج وضعي تجريبي، غايته تحليل الظواهر الاجتماعية والكشف عن العلاقات التي تربطها بعضها ببعض في نسق علمي متكامل.

ينظر إلى علم الاجتماع بوصفه علما متعدّد الأبعاد في تعريفه ومجالاته، إذ تباينت مقاربات الروّاد في تحديد موضوعه. فقد رأى **إميل دوركايم** أنّه العلم المعنيّ بدراسة البناء الاجتماعي

[1] اسماعيل محمد الزيود، **علم الاجتماع**، عمان، دار الكنوز للمعرفة والنشر والتوزيع، 2010، ص17

وما يتضمنه من مؤسسات، مؤكدًا على تحليل الظواهر الاجتماعية وأنماط الحياة والمشكلات الملازمة لها، بينما ذهب **ماكس فيبر** إلى أنّ غاية السوسيولوجيا تكمن في الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي، أي إدراك الدلالات والمعاني التي يمنحها الأفراد لأفعالهم داخل السياق الجمعي، أما **سوروكين** فقد انشغل بدراسة الخصائص العامة المشتركة بين مختلف الظواهر الاجتماعية، مسلطًا الضوء على الروابط التي تجمع بين الحقول الاجتماعية المتباينة، مثل العلاقة بين الدين والاقتصاد. وفي الاتجاه نفسه، اعتبر **هربرت سبنسر** أنّ مهمة علم الاجتماع تتمثل في وصف وتفسير نشأة النظم الاجتماعية وتطورها، كالأسرة وما شابهها من مؤسسات.

2. نشأة علم الاجتماع

أما من حيث النشأة التاريخية، فإنّ بدايات علم الاجتماع ارتبطت عضويا بالتحولات الكبرى التي شهدها الغرب مع بروز المجتمع الصناعي الحديث. فقد أشار المؤرخون إلى أنّ التغيرات العميقة التي عرفتها أوروبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر شكّلت التربة الخصبة لولادة هذا العلم، وفي طليعة هذه التحولات برزت **الثورات السياسية** التي اجتاحت أوروبا الغربية، وعلى رأسها الثورة الفرنسية سنة 1789، والتي اعتُبرت منعطفًا حاسمًا في إعادة تشكيل البنى الاجتماعية والسياسية، وقد وعى **أوغست كونت** –مؤسس السوسيولوجيا الحديثة – هذه التحولات، فطرح مشروعه المسمّى بدايةً "الفيزياء الاجتماعية"، قبل أن يمنحه الاسم الذي استقر لاحقًا: "علم الاجتماع"، وكان الهدف من هذا المشروع وضع أسس علمية منهجية لدراسة المجتمع، أسوةً بالعلوم الطبيعية، مع الانطلاق من الواقع الجديد الذي أفرزته التحولات السياسية والصناعية.

يذهب كثير من المؤرخين للعصر الحديث وتاريخ أوروبا الحديثة إلى اعتبار الثورة الفرنسية أكبر حدث سياسي واجتماعي في العصر الحديث بصورة عامة.[1]

أما **الثورة الصناعية (الرأسمالية)Industrial Revolution Capitalism** ، فقد برزت ملامحها الأولى في أوروبا الغربية، ولاسيما في بريطانيا مع أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، وقد مثّلت هذه الثورة نقطة تحوّل تاريخية شاملة، إذ أحدثت تغييرات بنيوية عميقة في أنماط النشاط الاقتصادي والإنتاجي، وأعادت تشكيل النظام الاقتصادي ومؤسساته. ولم تقتصر نتائجها على التحولات الداخلية، بل امتدت لتشكل الأساس الذي انبنت عليه الرأسمالية الغربية وانتشارها على المستوى العالمي.

لقد عكست تحليلات أبرز رواد علم الاجتماع الأوائل – أولئك الذين أسسوا لهذا العلم وبلوروا قضاياه ومشكلاته – اهتمامًا خاصًا بدراسة وتفسير النتائج الاجتماعية والسياسية الناجمة عن الثورة الصناعية ونشوء الرأسمالية، وإذا كان كتاب **آدم سميث** "ثروة الأمم *The Wealth of Nations*" قد قدّم الإطار الفكري والأيديولوجي الاقتصادي لتفسير هذه التحولات، فإنّ إسهامات السوسيولوجيين الأوائل شكّلت التفسير السوسيولوجي العميق للآثار البنيوية التي أفرزتها الثورة الصناعية وما ترتب عنها من أنماط جديدة للرأسمالية الحديثة.[2]

وإلى جانب ذلك، ساهمت مجموعة أخرى من التحولات التاريخية والفكرية والسياسية في تهيئة الظروف لبروز علم الاجتماع كعلم مستقل، قادر على فهم وتحليل الظواهر الاجتماعية في سياقها المركّب.

- **شرح وتعليق:**

[1] عبدالله محمد عبد الرحمان، **النظرية في علم الاجتماع– النظرية الكلاسيكية–** دار المعرفة الجامعية، 2006، ص19

[2] المرجع السابق، ص21–22

من المهم أن يفهم الطالب أن علم الاجتماع لم يظهر فجأة، بل هو نتيجة تفاعل متشابك بين عوامل فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية، وهذه العوامل ساعدت على بلورة علم يهتم بفهم وتحليل المجتمع من زوايا مختلفة.

- مظاهر التغير الاجتماعي التي دفعته إلى الظهور
- مشكلات المدن الصناعية مثل الفقر، الازدحام، الجريمة.
- ظهور طبقات اجتماعية جديدة وصراعات طبقية.
- تغيرات في العلاقات الاجتماعية التقليدية.
- قضايا الصراع الاجتماعي ومسألة السلام العالمي.
- تحديات ناجمة عن زيادة قوة العوامل الاجتماعية، مثل ارتفاع ساعات العمل، انخفاض الأجور، تسرب الأطفال للعمل

- **خلاصة:**

يمكننا إذا القول إن علم الاجتماع هو علم يعنى بدراسة الظواهر الاجتماعية المتنوعة وتحليلها ضمن سياقات متعددة، بهدف فهم كيف تتشكل العلاقات الاجتماعية وتؤثر على سلوك الأفراد والجماعات والمؤسسات، وقد نشأ هذا العلم نتيجة حاجة المجتمعات لفهم التغيرات الاجتماعية العميقة التي رافقت التحولات الصناعية والسياسية والفكرية.

جدول يوضح: "تعريف ونشأة علم الاجتماع"

المحور	المحتوى	شرح مبسط
تعريف علم الاجتماع	دراسة المجتمعات الإنسانية، العلاقات بين الأفراد، والظواهر الاجتماعية.	كيف يتفاعل الناس مع بعضهم في إطار اجتماعي.
تعريف ماكس فيبر	فهم النشاط الاجتماعي وتفسيره مع الاعتراف بنتائجه النسبية.	ليس فقط المراقبة، بل فهم الدوافع وراء السلوك.

نشأة علم الاجتماع	القرن التاسع عشر، أوغست كونت (1838) مؤسس المصطلح، تأسيس أقسام علم الاجتماع في أوروبا وأمريكا، جمعية علم الاجتماع 1905.	تطور علم مستقل لفهم التغيرات الاجتماعية.
العوامل الفكرية	فلسفة التنوير، عقلانية الإنسان، النقد، الحرية، فلاسفة بارزون: روسو، هوبز، فولتير، لوك، هيوم، بيكون، كانت.	العقل والحرية كأساس للتغيير الاجتماعي.
العوامل الاجتماعية والاقتصادية	الثورة الصناعية، التحضر، طبقات اجتماعية جديدة، الفقر، البطالة، الجريمة.	تحولات كبرى في المجتمع دفعت إلى دراسة ظواهر جديدة.
العوامل السياسية	الثورة الفرنسية (1789)، مبادئ الحرية والمساواة والديمقراطية، تغير أنظمة الحكم.	تأثير التغير السياسي في مفهوم المجتمع والسلطة.
مظاهر التغير الاجتماعي	مشاكل المدن الصناعية، صراعات طبقية، تغير العلاقات الاجتماعية، قضايا الصراع والسلام العالمي.	تحديات اجتماعية جديدة نتجت عن التطور الصناعي والسياسي.

- **<u>لماذا ندرس علم الاجتماع؟</u>**
- **بين المعرفة والتنوير الاجتماعي**
- **تمهيد:**

إن طرح السؤال: **"<u>لماذا ندرس علم الاجتماع؟</u>** "ليس مجرد تمرين معرفي بل هو جوهرٌ لفهم أهمية هذا العلم في بناء الإنسان والمجتمع، فمعرفة الواقع الاجتماعي لا تكتسب تلقائيا بمجرد العيش فيه، بل تتطلب أدوات تحليل علمي ومنهجي توفرها لنا العلوم الاجتماعية، وعلى رأسها علم الاجتماع.

فعلم الاجتماع هو مجال تفكيك الرؤية الساذجة للعالم الاجتماعي، وتحويلها إلى رؤية نقدية عقلانية تتيح للفرد والمجتمع معًا فَهم السياقات العميقة للظواهر، ومعالجة مشكلاتها، واتخاذ قرارات أكثر نجاعة وفعالية.

أولا: علم الاجتماع كأداة لفهم العالم الاجتماعي

أولى فوائد علم الاجتماع أنه ينير وعينا بالعالم الذي نعيش فيه، فرغم أننا نولد وننشأ ضمن سياق اجتماعي معيّن، إلا أن إدراكنا لطبيعة هذا المجتمع، لرموزه الظاهرة ومضامينه الباطنة، يحتاج إلى تحليل علمي منهجي لا توفره لنا التجربة العادية وحدها، فدراسة الظواهر الاجتماعية – من مثل الفقر، الجريمة، الزواج، الدين، التعليم – تسمح لنا بتكوين مواقف نقدية وواعية بدلا من الأحكام الانفعالية أو المسبقة.

فمثلا، لا يكفي أن نعيش في مدينة لنفهم ماهية التحضر أو أن نحكم على الجريمة بأنها سلوك منحرف دون فهم البنية الاقتصادية والاجتماعية المُنتجة له.

ثانيا: التنوير الذاتي والمعرفة بالنفس

ثاني الفوائد التي يجنيها دارس علم الاجتماع تتمثل في فهم الذات في السياق الاجتماعي، فالفرد ليس كائنا منفصلا، بل هو نتاج تفاعل مع معايير ثقافية، وضغوط اجتماعية، وقيم أسرية وتعليمية... إلخ. وكلما ازداد فهمنا لتلك العوامل التي تشكل وعينا، وتوجه أفعالنا، كلما تعززت قدرتنا على اتخاذ قرارات أكثر عقلانية واستقلالية .

إن علم الاجتماع يسهم في الانتقال من "الفعل الانفعالي" إلى "الفعل الواعي"، وهي نقلة ضرورية للارتقاء بالذات الإنسانية.

ثالثا: تنوير صنّاع القرار

لا يقتصر دور علم الاجتماع على التنوير الفردي، بل يشكل أداة فعّالة في توجيه السياسات العامة، فصنّاع القرار – في مجالات السياسة، الاقتصاد، التربية، الدين، الإعلام – لا يمكنهم

النجاح في مهامهم دون فهم دقيق لبنية المجتمع واحتياجاته ومسارات تغيره، فالمشروعات الاجتماعية، مهما بلغت من حسن النوايا، قد تبوء بالفشل إن لم تنطلق من تشخيص علمي موضوعي للواقع الاجتماعي .

إن علم الاجتماع يطرح الأسئلة الصحيحة التي يجب على صنّاع القرار مواجهتها، ويوفر الأدوات التي تُمكّنهم من صياغة حلول مستنيرة.

3.مقاربات العلماء لتعريف علم الاجتماع:

رغم وجود إجماع بين علماء الاجتماع على أن موضوع هذا العلم هو المجتمع الإنساني، إلا أن تعدد المداخل والمقاربات أدى إلى تنوع التعريفات بحسب الخلفيات النظرية لكل مفكر.

1. التعريف وفق التوجهات النظرية:

أ/أوغست كونت (Auguste Comte): اعتبر أن علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة علمية وضعية، ويكشف عن القوانين التي تحكم تماسك المجتمع وتطوره .

ب/إميل دوركايم (Émile Durkheim): عرّف علم الاجتماع بأنه العلم الذي يدرس البناء الاجتماعي والظواهر الاجتماعية بوصفها وقائع خارجية تمارس سلطة على الأفراد .

ج/ماكس فيبر (Max Weber) : اعتبر أن علم الاجتماع هو الفهم التفسيري للفعل الاجتماعي، والبحث في المعاني التي يضفيها الأفراد على أفعالهم ضمن السياق الاجتماعي.

د/بيترم سوروكين (Pitirim Sorokin): رأى أن علم الاجتماع يهتم بدراسة العلاقات المتبادلة بين الظواهر الاجتماعية، مثل العلاقة بين الدين والاقتصاد .

و/هربرت سبنسر (Herbert Spencer) : انشغل بدراسة تطور النظم الاجتماعية عبر الزمن، كالأسرة والدولة، واهتم بالمقارنة بين المجتمعات عبر مراحل تطورها .

2.التعريف وفق الموضوعات: علم الاجتماع لا يتناول المجتمع بوصفه كلا متجانسا، بل يحلّله من خلال موضوعات متعددة مثل:

- **التنظيمات الاجتماعية:** الأسرة، المدرسة، المؤسسات.
- **الظواهر الاجتماعية:** الزواج، الجريمة، الانحراف، الدين.
- **الأنظمة الاجتماعية:** النظام السياسي، الاقتصادي، التعليمي، إلخ.
- **أنماط الحياة:** القيم، العادات، أنماط الاستهلاك، الهوية.

3.التنوع بين المدارس والمناهج:

اختلاف العلماء في تحديد موضوع علم الاجتماع لا يعد ضعفا بل ثراءا نظريا يغني الحقل المعرفي، ويعكس تنوع المجتمعات وتعقيدها.

مصطلح أساسي: البناء الاجتماعي: يقصد بالبناء الاجتماعي مجموع الجماعات والعلاقات والمؤسسات المستمرة والمترابطة التي تُكوّن البنية العامة للمجتمع مثل الأسرة، المدرسة، الدين، الاقتصاد... إلخ. وهو ما يشكّل الإطار الذي يتفاعل فيه الأفراد ويكتسبون فيه أدوارهم وهوياتهم الاجتماعية .

- **خلاصة:**

علم الاجتماع ليس مجرد علم أكاديمي، بل هو منظور تحليلي نقدي يساعدنا على:

- فهم العالم الاجتماعي بمكوناته وتعقيداته.
- إدراك ذواتنا في سياقها التفاعلي.
- الإسهام في بلورة سياسات اجتماعية أكثر واقعية وإنسانية.
- إنه العلم الذي يعلّمنا كيف نطرح الأسئلة الصحيحة، لا كيف نكتفي بإجابات سريعة.

جدول مقارنة بين علماء الاجتماع في تعريفاتهم لـ "علم الاجتماع"

العالم	التعريف بأسلوب مبسط وموسع	أمثلة توضيحية
أوغست كونت (Auguste Comte)	يعتبر علم الاجتماع علمًا يدرس الظواهر الاجتماعية منهجيًا، بُغية اكتشاف القوانين التي تحكم تطور وتماسك المجتمعات. هذا العلم يعتمد على المنهج الوضعي (Positivism) الذي يرى أن المجتمعات تمر بثلاث مراحل: اللاهوتية، المجردة، ثم العلمية.	مثال: دراسة تطور البشرية من تفسير الطبيعة بآلهة إلى الاستعانة بالمنهج العلمي لدراسة الدورات المناخية . ويكيبيديا 1+
إميل دوركهايم (Émile Durkheim)	يرى أن علم الاجتماع يجب أن يدرس "الحقائق الاجتماعية (Social Facts) "كظواهر قائمة بذاتها، خارج الفرد، تمارس عليه قوة تأثيرية. وينبغي تناولها بمنهج علمي مشابه للعلوم الطبيعية.	مثال: دراسة معدلات الانتحار عبر التوزيع الاجتماعي (ديانة، طبقة، جنس) لفهم أنماط السلوك التي تتجاوز الاختيارات الفردية العشوائية . ويكيبيديا 1+
ماكس فيبر (Max Weber)	يعّرف علم الاجتماع بأنه العلوم التي تحاول فهم وتفسير الفعل الاجتماعي، عبر فهم الدوافع والغايات التي تدفع للفعل. يركز على التفسير الذاتي للسلوك مع الأخذ بنظر الاعتبار السياق الاجتماعي.	مثال: تصنيف الأفعال بين (عقلاني غائي، عقلاني قيمي، تقليدي، وجداني) مثل أن مهندسًا يعمل لتحقيق هدف معين مقابل شخص يتصرف عملًا على تقليد اجتماعي . E3arabiجامعة غرداية النجاح

- **<u>توضيحات بأسلوب مبسط ومثالي :</u>**
- **أوغست كونت** :يطرح فكرة أن المجتمعات تبدأ من الإيمان بالآلهة (مرحلة لاهوتية)، ثم تنتقل إلى فلسفة مجردة، ثم إلى منهج علمي موضوعي—وهذا الانقلاب الفكري هو ما أسس لظهور علم الاجتماع كعلم ناضج.
- **إميل دوركهايم** :ركّز على أن السلوكيات الاجتماعية—مثل لغة، قوانين، عادات—هي حقائق قوية تحتم على الأفراد تحملها والانصياع لها، ولا يمكن فهمها فقط من خلال النفس الفردية .

- **ماكس فيبر** :يبني علم الاجتماع على فهم ما يدفع الأفراد إلى الفعل، وليس فقط مراقبة النتائج. فهو يبحث عن "المعنى" المرجو من وراء الأفعالE3arabi .جامعة غرداياةالنجاح
- **خلاصة بسيطة:**

كل عالم يقدم رؤية فريدة لـ "علم الاجتماع:"

- **كونت** :علم وضعِي يبحث عن قوانين تطور المجتمع.
- **دوركهايم** :يدرس المؤسسات والحقائق الاجتماعية كظواهر تفرض نفسها بشكل موضوعي.
- **فيبر** :يفهم المجتمع عبر دوافع الأفراد والتفسير التفسيري للفعل.

هذه التباينات ليست تنافسا، بل تثري الحقل السوسيولوجي بمنظورات متعددة.

- **<u>أسئلة تدريبية لمراجعة المحاضرة</u>**

1/ما هو تعريف علم الاجتماع؟ وكيف يختلف عن دراسة الأفراد بشكل منفرد؟

2/كيف يفسر ماكس فيبر النشاط الاجتماعي؟ ولماذا يعتبر نتائجه نسبية؟

3/ما هي العوامل الفكرية التي ساهمت في ظهور علم الاجتماع؟ واذكر بعض فلاسفة التنوير المرتبطين بها.

4/كيف أثرت الثورة الصناعية على نشأة علم الاجتماع؟

5/لماذا تعتبر الثورة الفرنسية عاملاً مهماً في تطور علم الاجتماع؟

6/اذكر وأوضح بعض مظاهر التغير الاجتماعي التي دفعت إلى الحاجة إلى علم الاجتماع.

7/ما هي أهمية فهم العلاقات الاجتماعية ضمن دراسة علم الاجتماع؟

8/كيف ساهم تأسيس أقسام علم الاجتماع وجمعياته في تعزيز هذا العلم؟

9/هل يمكن اعتبار علم الاجتماع علماً موضوعياً فقط؟ فسر جوابك.

10/كيف يمكن استخدام علم الاجتماع لفهم وتحليل مشكلات المجتمع المعاصر؟

المحور الثاني: تاريخ علم الاجتماع من الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع

- **<u>لماذا نبحث عن الجذور؟</u>**

علم الاجتماع لم يولد فجأة مع أوغست كونت، بل هو أشبه بجدول مائي تغذّته ينابيع من عصور متباعدة: الفكر الفلسفي، التجربة السياسية، والدين.

<u>التحليل</u> :فهم الجذور ليس ترفا تاريخيا؛ بل هو شرط لفهم لماذا تتبنّى المجتمعات اليوم أنماطا معيّنة من التنظيم والتغيير.

- **مثال للطلاب** :تخيّل أنك تدرس مجتمعا قبليا في 2025، لكنك تجد نفس آليات الولاء التي شرحها ابن خلدون قبل 600 سنة — هذا هو الامتداد التاريخي للفكر الاجتماعي.

1/تعريف موجز :

علم الاجتماع هو علم يدرس أنماط التفاعل الاجتماعي، البنيات الاجتماعية، والمؤسسات، ويبحث في كيفية تشكّل القواعد والقيَم والسلبيات/الإيجابيات التي تنظّم سلوك الجماعات البشرية، هدف المقدمة التاريخية هنا أن تبيّن كيف تطوّر التفكّر في الشأن الاجتماعي قبل أن يتحوّل إلى نظام معرفي مستقل باسم "علم الاجتماع"، (نقطة منهجية: اجعلي هدف الفقرة واضحًا — أي: لماذا ندرس التاريخ؟ لبيان الجذور النظرية، ولتمييز المنهجية، ولتحديد الفراغات البحثية). مجلة حكمة

يستخدم اصطلاح *الشعوب البدائية* للإشارة إلى الجماعات البشرية التي لم تعرف الكتابة بعد، أي تلك التي سبقت مرحلة التدوين، وهو ما يميزها ثقافيا عن المجتمعات التاريخية اللاحقة، ومن المهم التوضيح أنّ هذا المصطلح لا يعني "التخلف" أو "النقص"، بل يصف غياب اللغة المكتوبة كخاصية ثقافية محددة، بصرف النظر عن الانتماء العرقي أو الجغرافي؛ سواء كانت هذه الجماعات تعيش في الشمال البارد أو الجنوب الحار، أو كانت بيضاء أو سوداء أو صفراء أو حمراء.

ويدرس الفكر الاجتماعي لهذه الشعوب من خلال ما خلّفته من أمثال وحكم وخبرات حياتية، تكشف عن أنماط تفكير اجتماعي لا تختلف في جوهرها عن نظيراتها في المجتمعات الأخرى، ومن ثمّ، لا يجوز النظر إلى الفكر البدائي باعتباره أدنى من الفكر في المجتمعات "المتحضرة"، بل ينبغي مقاربته من حيث ما يتضمنه من مزايا وعيوب، بعيدا عن التصورات التبسيطية التي ساوت – خطأً – بين هذه الشعوب وبين الحيوان.

وفي هذا السياق، يشير بيكروباتز إلى بعض السمات الثقافية للمجتمعات السابقة على معرفة الكتابة، مبرزا أن المجتمع الذي يفتقر إلى القراءة والكتابة – حتى وإن وجد داخل عالم معاصر يعرفهما – يعيش في حالة من العزلة، وهذه العزلة ليست دائما جغرافية، بل قد تكون عزلة عن "الجيران"، وهو ما عبّر عنه راتزل (Ratzel) بمفهوم *الهوة*، حيث يميّز بين الموقع الطبيعي للشعب المرتبط بمكان الأرض، وبين موقعه الاجتماعي المتمثل في علاقته بالشعوب المجاورة..[1]

وإذا افترضنا – على سبيل الافتراض النظري – وجود إنسان لم تجمعه أي علاقة اجتماعية بغيره من البشر، باستثناء أولئك الذين شاركوا في عملية ولادته، فإنّ لهذا الفرد موقعا جغرافيا محددا بالفعل، غير أنّه يظلّ في عزلة تامة عن "الجوار الاجتماعي"، فامتلاك الموقع الجغرافي لا يعني بالضرورة وجود علاقات إنسانية مع الآخرين، إذ إنّ هذا البعد يفترض تفاعلا مع أفراد أو جماعات أخرى، وهو ما يغيب في الحالة المفترضة، ومن هنا يظهر الفرق الجوهري بين *الموقع الجغرافي* الذي يتحدد بالموضع المادي للفرد أو الجماعة، وبين *الموقع الاجتماعي* الذي لا يتحقق إلا من خلال شبكة العلاقات والروابط مع الجيران والمحيطين.

لا يمكن تصور وجود "جوار اجتماعي" من دون موقع جغرافي محدد، غير أنّ الموقع الجغرافي نفسه قد يتبدل بشكل كبير نتيجة تغيرات طفيفة في طبيعة العلاقة مع الجيران، وعلى النقيض، فإنّ بعض المنظّرين الاجتماعيين لم يميزوا بدقة بين *العزلة الجغرافية* و*العزلة*

[1] عبد الهادي جوهري، **تاريخ الفكر الاجتماعي**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1999، ص13.

الاجتماعية عن الجيران، وهو خلط يستدعي إعادة النظر فيه لفهم ديناميات التفاعل بين البعدين.

ومن هذا المنطلق، يطرح التساؤل الجوهري :هل الطبيعة الإنسانية تميل بطبعها إلى مقاومة التغير أم أنّها منفتحة على التغيير بالضرورة؟ إنّ محاولة الإجابة عن هذا السؤال تمثل مدخلا لفهم إحدى القضايا المركزية في علم الاجتماع، وهي *مشكلة التغير الاجتماعي*، وغالبا ما تتجلى الإجابات في مقارنة آراء علماء الاجتماع والفكر الاجتماعي حول هذا الموضوع.

فقد أكد باجوت (Bagehot) على ندرة التقدم الثقافي، معتبرا أنّ حالة الاستقرار هي الأصل في حياة الإنسان، وأنّ التاريخ حين بدأ وجد معظم الأجناس في حالة من الجمود الثقافي، وتشير المعطيات المتاحة إلى أنّ العديد من الشعوب السابقة على مرحلة الكتابة، وحتى تلك التي عرفت شكلا محدودا من التعليم، قد احتفظت بخصائص ثقافتها التقليدية بصورة جعلتها تبدو شديدة الثبات الفكري.

وعلى خلاف ذلك، ذهب فيدال دي لا بلاش (Viel de la Blache) إلى أنّ الثقافات المنعزلة قد تعرف قدرا من التقدم، لكن هذا التقدم يظل مرحليا، إذ يعقبه – بعد فترة – انحلال وضعف، وما لم تتدخل عوامل خارجية قادرة على كسر هذه "الدائرة الخبيثة"، فإنّ حالة من الركود والجمود الحضاري سرعان ما تسود وتطبع المجتمع.

يشير أوجبورن (Ogburn) إلى أنّ الموقف الإنساني من التغير ليس ثابتا، إذ يميل الفرد أحيانا إلى تبني التغيير والسعي نحوه، بينما يظهر في مواقف أخرى نزعة إلى مقاومته أو رفضه..[1]

من خلال التعاليم الفلسفية والفكرية يمكن تفسير العديد من ملامح الحضارة الصينية، حيث تعكس هذه التعاليم الطابع المميز لبنيتها الثقافية والاجتماعية، وعلى نحو مماثل، تركت

[1] نفس المرجع، ص14.

الفلسفة اليونانية بصماتها الواضحة في التفكير الاجتماعي؛ إذ شدّد أفلاطون على مفهوم وحدة الكائن الاجتماعي باعتباره كيانا عضويا متكاملا، لا يمكن إدراك أجزائه إلا في إطار خضوعها للكل، أي أن قيمة الجزء لا تفهم إلا بوظيفته داخل المنظومة الكلية، وعلى النقيض من ذلك، قدّم أرسطو تصورا مغايرا، إذ نظر إلى المجتمع باعتباره بناءا متمايزا تتمايز فيه العناصر والأجزاء وتظل محتفظة بقدر من الاستقلالية، رغم انتظامها داخل الكيان الاجتماعي الأشمل.

وفق رؤية أفلاطون، تتكون النفس البشرية من ثلاث قوى أساسية يجب تحقيق الانسجام بينها لضمان السعادة الكاملة، وهي :الشهوة(le Désir) ، والقلب أو العاطفة(le Cœur) ، والعقل(la Raison) ، وترتبط هذه القوى الثلاث بثلاث فضائل محورية: العفة، والشجاعة، والحكمة، ومن هذا المنطلق، صمّم أفلاطون تصوره للمدينة الفاضلة على غرار التركيبة النفسية للفرد؛ حيث يقوم الفلاسفة مقام الرأس وينسب إليهم صفة الحكمة، بينما يمثل المحاربون القلب ويُنسب إليهم صفة الشجاعة، أما طبقة الزراع والتجار والصناع فترتبط بميولهم المادية والشهوات الدنيوية.

وعلى النقيض من ذلك، دعا أرسطو الأرستقراطي إلى تنظيم المدينة بحيث تتكفل كل الطبقات براحة المفكرين والفلاسفة، بما يسمح لهم بالتفرغ لشؤون العقل والحكم، حتى لو اقتضى ذلك اعتماد نظام الرق.

ويتصل بهذا الإطار، التفكير الاجتماعي الروماني الذي يعد امتدادا للفكر اليوناني، إلا أنه اتسم بتركيز أكبر على التطبيق العملي والفنون والطرق العلمية، فبينما عرف اليونانيون كيف يفكرون بعمق نظري، برع الرومان في كيفية العمل والتنظيم والحكم، ما يعكس تحولا من التفكير النظري إلى التفكير التطبيقي في السياق الاجتماعي والسياسي.[1]

[1] دريسي حنان، محاضرات في مقياس مدخل إلى علم الاجتماع، مطبوعة بيداغوجية، موجهة لطلبة السنة أولى ليسانس – جذع مشترك – علوم، سياسية وعلاقات دولية، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم الدراسات الدولية، جامعة الجزائر3، 2021/2020، ص ص 8، 9.

1. الفكر الاجتماعي عند الحضارة اليونانية:

لقد حاول عدد من الفلاسفة اليونانيين القدامى، ومن بينهم أفلاطون وأرسطو والغرابي، توجيه الفكر الإنساني نحو فهم المجتمع وأسس النظام الاجتماعي، كما سعى الفارابي وأرسطو وغيرهم من الفلاسفة إلى وضع قواعد ومبادئ تؤطر الحياة الاجتماعية والسياسية، في محاولة لبناء رؤية علمية للمجتمع تكشف عن قوانينه الداخلية.

ومع ذلك، فإنّ هذه المحاولات لم تنصب على دراسة المجتمعات كما هي موجودة بالفعل، أو كما كانت في الماضي، بل كانت تهدف إلى تصور ما ينبغي أن تكون عليه، أي الوصول إلى مجتمعات مثالية، ويلاحظ أنّ هذه التجارب الفكرية غلب عليها الطابع الذاتي والتحليلي، إذ تعكس وجهة نظر المفكر وآرائه الخاصة حول المجتمع، ومن أبرز الأمثلة على هذا النهج: كتاب الجمهورية لأفلاطون، وكتاب السياسة لأرسطو، والمدينة الفاضلة للفارابي.

وتتميز هذه المحاولات المشتركة برغبة الفلاسفة في إيجاد مجتمع قائم على أسس فكرية وإيديولوجية سليمة، قادر على مواجهة التحولات الاجتماعية والاقتصادية الناشئة، فقد كانت بدايات الثورة العلمية والصناعية في المجتمع الجديد، مع ما صاحبها من تغييرات عميقة، قد أوجدت مناخا فكريا واجتماعيا مواتيا لانتشار هذه الفلسفة التنويرية النقدية في أوروبا عامة، ممهّدة الطريق لتطور الفكر الاجتماعي الحديث.الفكر الاجتماعي عند الحضارة الصينية:

تنازع الفكر الاجتماعي الصيني القديم عدة تيارات متنافسة، من أبرزها الكونفوشيوسية، والمدرسة القانونية، والموتسيّة، ولعل الكونفوشيوسية تعد الرائدة في تأسيس أول مدرسة اجتماعية في الحضارات الشرقية القديمة، حيث أسهمت بشكل ملحوظ في الدراسات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، وترك أثرها البارز في الحياة الفكرية والعلمية للصين.

كان كونفشيوس مصلحا اجتماعيا دعا إلى التغيير، مؤمنا بأن المشكلة الجوهرية للشعب تكمن في أساليب الحكم والسلطة الحاكمة، وأن الإصلاح الاجتماعي يبدأ من تصحيح هذه

الهياكل السياسية، وقد سعى من خلال تعاليمه إلى وضع أسس أخلاقية وتنظيمية للمجتمع، بهدف تحقيق توازن اجتماعي مستدام والارتقاء بالقيم الإنسانية التي من شأنها تعزيز العدالة والاستقرار في المجتمع.

رأى كونفشيوس أنّ تحقيق الإصلاح الاجتماعي يبدأ بانضباط الحكام وانطلاقهم من الاستقامة الشخصية، مع تفهم احتياجات الشعب، مستندين إلى قاعدة أخلاقية مركزية مفادها : "أنجز للناس ما كنت حريا بأن تنجزه لنفسك" ، وقد أسهم دعم السلطة الحاكمة في تعزيز الكونفوشيوسية وجعلها الديانة الرسمية للأمة الصينية، ما مكنها من ترك أثر مستدام على الفكر الاجتماعي والسياسي للأمة.

ورغم ما حققته الكونفوشيوسية من إصلاحات على مستوى القيم والسلوكيات، إلا أنّ البؤس والفقر استمرّا في السيطرة على الواقع، ما أتاح المجال لظهور فلسفات وديانات أخرى، أبرزها الطاوية في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد، التي دعَت إلى حياة البساطة والتقشف، والتخلي عن دافع الربح والأنانية والرغبات الفردية.

وتؤكد تعاليم الكونفوشيوسية على ضرورة احترام مكانة الأباطرة وحقهم في السلطة، باعتبار أنّ العناية الإلهية قد وفّضت إليهم مهام مناصبهم، شرط التزامهم بالقانون الأسمى، واستمراريتهم في ممارسة السلطة يعتمد على تمسكهم بالفضائل الأخلاقية والقدرات العقلية السليمة، ومن هنا، ترى فلسفة كونفشيوس أنّ النظام الاجتماعي الناجح يجب أن يقوم على أسس دينية، وأن تستمد العلاقات الاجتماعية شرعيتها من الإله الأعظم.

وفي المجال التربوي، اعتبرت الكونفوشيوسية التعليم الوسيلة الأساسية لتحقيق الفضيلة والارتقاء بالمجتمع، ومن أهم القواعد التربوية التي أكد عليها كونفشيوس: ضرورة معرفة المدرسين ميول الطالب وقدراته الطبيعية، وتجنب التعليم الذي يحوّل الطلاب إلى آلات تحفظ المعلومات بلا وعي أو فهم، بل ينبغي أن يسعى التعليم إلى تنمية العقل والفكر الأخلاقي للطلبة، بما يعزز تكامل الفرد مع المجتمع ويساهم في استقرار النظام الاجتماعي.

2. الفكر الاجتماعي عند الحضارة الفرعونية:

إذا تأملنا النظام الاجتماعي في مصر الفرعونية، نجد أنّه كان يقوم على هيكل طبقي صارم، ففي قمة هذا البناء الطبقي يقف الفراعنة، ليسوا مجرد حكام سياسيين أو رؤساء للدولة، بل كانوا يعتبرون آلهة، ما منحهم الجمع بين السلطات الدنيوية والأخروية في آن واحد، يليهم طبقة الكهنة، الذين استمدوا قداسة أعمالهم من الخدمة المخلصة للفرعون باعتباره الإله الأعلى، ثم طبقة الجيش المكلفة بحراسة الأماكن المقدسة، وأخيرًا طبقة الحرفيين والعمال.

ومن السمات الجوهرية لهذا النظام أنّه استند أساسا إلى البعد الديني، فالدين كان المحور الذي يوجه التنظيم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فقد كشف تحليل الوثائق التاريخية، مثل نقوش المعابد ومرسوم "نقر كارع"، أنّ الفكر الاجتماعي الفرعوني كان واعيا بمفهوم الملكية باعتبارها حقا إلهيا، فممتلكات المعابد لم تكن ملكية فردية، بل كانت من الحقوق الإلهية، يتصرف فيها الكهنة نيابة عن الإله.

أما على صعيد الأفكار القانونية، فقد حظيت بأهمية خاصة، كما تظهر الوصايا المنقوشة على أوراق البردي وجدران المعابد، والتي تضمنت مجموعة من القوانين التي نظّمت حياة المصريين، بما يعكس درجة عالية من الوعي السياسي والاجتماعي، ومن بين الوثائق التاريخية التي تؤكد ذلك، مجموعة "بوخوريوس" لمؤسس الأسرة الرابعة والعشرين، والتي تمثل مثالا على قدرة الفراعنة على تنظيم المجتمع والحياة العامة.

وعليه، يمكن القول إنّ البناء الاجتماعي الفرعوني، رغم كونه نظامًا تيوقراطيا وطبقيا، كان متماسكا ومستقرا بفضل اعتماد محوره على الدين ودعم الوحدة الاجتماعية والسياسية على مستوى الدولة، ويعدّ الفكر الاجتماعي الفرعوني أول مرحلة من مراحل النضج الاجتماعي والسياسي، ليكون بذلك باكورة التفكير الاجتماعي العلمي، وله قيمة تاريخية وفكرية كبيرة للإنسانية جمعاء.

3.الفكر الاجتماعي عند المسلمين:

استمرّ الفكر الاجتماعي المثالي خلال العصور الوسطى حتى ظهور الإسلام، حيث تناولت التعاليم الإسلامية الحياة الاجتماعية ونظمها بشكل شامل، ما أتاح للمفكرين المسلمين مجالا واسعا للاجتهاد الفكري، وقد حظيت الأبحاث الاجتماعية حينئذ باهتمام خاص، مدعومة بالقوة الروحية التي ربطت بين المجتمعات الإسلامية على الرغم من اختلاف العادات واللغات، مما سمح للمفكرين بالانتقال بين الأقاليم المختلفة في أرجاء العالم الإسلامي واكتساب خبرات وتجارب متعددة أمدتهم بالقدرة على تفسير الظواهر الاجتماعية التي رصدوها.

من بين أبرز المفكرين الذين أسهموا في الفكر الاجتماعي الإسلامي :الفارابي صاحب كتاب *المدينة الفاضلة*، وأبو حامد الغزالي، وغيرهما، ورغم أنّ أفكارهم وأطروحاتهم كانت أقرب إلى الأخلاق الاجتماعية والطوبوية منها إلى علم الاجتماع التجريبي، إذ سعوا من خلالها إلى تحقيق السعادة والخير الأسمى، فإنها شكّلت قاعدة معرفية هامة لفهم المجتمع ونظمه.

واستمر الفكر الاجتماعي في هذا المسار الطويل حتى بروز عبد الرحمن ابن خلدون، الذي أسس علم الاجتماع بشكل مستقل، ووضع أسس البحث العلمي الاجتماعي الحديث، بما جمع بين الملاحظة الواقعية والتحليل النظري للظواهر الاجتماعية، ليكون بذلك مؤسس السوسيولوجيا العلمية الأولى في العالم الإسلامي.

4.الفكر الاجتماعي في القرنين(17-18):

بعد ابن خلدون، اقتصر الفكر الاجتماعي في الغرب إلى حد كبير على نقد الآراء المثالية والتصورات الفاضلة للمجتمع، ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتاب "اليوتوبيا" لتوماس مور، الذي يعكس فكرة "البلد الذي لا وجود له إلا في الخيال"، قصد مور من خلال هذا العمل نقد الحياة الاجتماعية في عصره والدعوة إلى الإصلاح، عبر مقارنة القيم السائدة في المجتمع الإنجليزي آنذاك مع الأخلاق المثالية في "مدينته الخيالية"، وقد سلّط مور الضوء على الفساد الأخلاقي

والاجتماعي، منتقدا تركيز المجتمع على الثروة، التي يراها مفسدة للطبيعة البشرية ومسببة للصراعات والحروب، كما سخر من الحكام الذين يعاقبون الفقراء دون توفير وسائل عمل شريفة لهم.

أما الفكر الاجتماعي في القرن السابع عشر، فقد غلب عليه الطابع التصوري والطوباوي، حيث كانت النظريات تركز غالبا على تصور المدينة الفاضلة، ومن بين أبرز هؤلاء المفكرين توماس هوبز، صاحب كتابه الشهير *"حرب الكل ضد الكل"*، وقد رأى هوبز أن الإنسان أناني بطبيعته، وأن القانون الطبيعي يهيمن على سلوكه، فطبيعة الإنسان تنطوي على الغدر والتربص، إذ "الإنسان ذئب لأخيه الإنسان"، ومن هذا المنطلق، اعتبر هوبز أنّ المجتمع وسيلة ذكية يستخدمها الإنسان للسيطرة على فطرته العدوانية، وأن على الحكام أن يمتلكوا سلطات مطلقة لضمان الخضوع والانضباط.

وعلى النقيض من هوبز، قدم جون جاك روسو رؤية مختلفة، إذ اعتبر أن حياة المجتمع ليست جزءا من طبيعة الإنسان، بل نشأت استجابة لحاجته إلى الاستقرار، وقد صور روسو الحياة الإنسانية الأولى على أنها حالة شقاء وصراع وعدم استقرار، معتبراً أنّ الإنسان فطريا طيب ومجبَر على حب الخير، مخالفًا بذلك النظرة التشاؤمية السائدة في فلسفة القرن الثامن عشر.

أما مونتسكيو، في كتابه *"روح القوانين"*، فقد مثل خطوة نوعية في دراسة الظواهر التشريعية ومعرفة أصولها التاريخية، معتبرا أنّ القوانين ضرورية وأنها تستمد أساسها من طبيعة البشر وبيئاتهم الاجتماعية، ويعد هذا الكتاب رد فعل نقدي على التشاؤم الفلسفي الذي عبّر عنه هوبز، ومؤسسا لفهم حديث للقوانين الاجتماعية والسياسية كأساس لتنظيم المجتمعات البشرية..[1]

[1] نفس المرجع، ص ص 32، 33.

المحور الثالث: موضوع علـم الاجتماع

يتفق العديد من العلماء على أن علم الاجتماع يهتم بدراسة المجتمع من خلال تحليل ظواهره ونظمه وبيئته، بالإضافة إلى دراسة العلاقات بين أفراده بطريقة علمية وصفية وتحليلية، بهدف الكشف عن الوظائف الاجتماعية التي تؤديها هذه الظواهر. [1]

انقسم علماء الاجتماع إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية: الأولى ترى أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة العلاقات الاجتماعية، ويعرف أتباع هذه المدرسة بـ"أصحاب مدرسة العلاقات"، على رأسهم جورج زيمل (Georg Simmel) ، أما الاتجاه الثاني فيؤكد على ضرورة وجود علوم اجتماعية جزئية مكملة لعلم الاجتماع، مثلما دعا إلى ذلك إميل دوركهايم (Emile Durkheim) ، في حين يمثل الاتجاه الثالث مجموعة من العلماء الذين يملكون آراء متنوعة؛ فبعضهم يرى أن علم الاجتماع يختص بدراسة النظم الاجتماعية، بينما يرى آخرون أهمية فهم الآليات والوسائل التي تُسهم في تطور المجتمع وتحقيق الوحدة والتآلف بين أفراده.

وفي المجمل، يركز علم الاجتماع على دراسة مجموعة من الموضوعات الأساسية، مثل الحقائق الاجتماعية، والعمليات الاجتماعية، والعلاقات المتبادلة بين الأفراد من خلال التفاعل الاجتماعي، إضافة إلى دراسة مكونات البنى الاجتماعية، بما في ذلك الجماعات العامة.[2]

---

[1] احمد الجواد، **مبادئ علم الاجتماع**، مكتبة نهضة الشروق، القاهرة، مصر، 1983، ص23

[2] بن بلقاسم ايمان صبرا، **محاضرات في مقياس مدخل في علم الاجتماع، مطبوعة موجهة لطلبة التعليم الأساسي للعلوم الاجتماعية – سنة أولى-** ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم للعلوم الاجتماعية، جامعة زيان عاشور – الجلفة-، 2020-2021، ص4-5.

المحور الرابع :رواد علم الاجتماع:

1. ابن خلدون :

أ/ النشأة والمسار العلمي:

ولد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي في تونس سنة 1332م (732هـ)، في أسرة عريقة استقرت في شمال إفريقيا بعد قدومها من الأندلس، نشأ في بيئة علمية وثقافية مميزة، حيث حفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع في سن مبكرة، وتلقى علوم النحو والبلاغة والشعر والفقه وأصوله، إضافة إلى علوم المنطق والفلسفة والرياضيات.

هذه الخلفية العلمية الواسعة أهلته للانخراط في الحياة العملية مبكرا، إذ التحق بالخدمة المدنية في سن العشرين كاتبا لسلطان فاس بالمغرب الأقصى.

- **<u>مثال توضيحي للطلبة</u>** :يمكن تشبيه دور ابن خلدون في تلك الفترة بمثابة موظف حكومي رفيع المستوى يجمع بين الثقافة العميقة والكفاءة الإدارية، وهو ما ساعده على التنقل بين المناصب السياسية والدبلوماسية بسهولة.

ب/ المسار السياسي والرحلات:

بعد فترة عمله في المغرب، هاجر ابن خلدون إلى الأندلس، حيث شغل منصب سفير لملك غرناطة لدى ملك قشتالة، وهي مهمة تطلبت مهارات عالية في التفاوض والدبلوماسية، وفي سنة 1360م عاد إلى شمال إفريقيا وتقلد منصب وزير في الجزائر، ما يعكس مكانته السياسية والفكرية في تلك الحقبة.

وفي عام 1375م اعتزل العمل السياسي ولجأ إلى منطقة "بني عرفة" قرب وهران، وهناك بدأ في كتابة مؤلفه الشهير "المقدمة "بين سنتي 1375م و1378م، والتي جاءت كتمهيد لكتابه الضخم "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر "المكوّن من سبعة أجزاء.

- **<u>ملاحظة للطلبة</u>** :اعتزال ابن خلدون السياسة كان نقطة تحول في مسيرته، حيث منحته العزلة فرصة للتأمل العميق وصياغة أفكاره النظرية حول الاجتماع البشري.

ج/ المسار العلمي في المشرق:

بعد إنهاء كتاباته، عاد إلى تونس وبدأ التدريس وإلقاء المحاضرات، وعندما قرر أداء فريضة الحج، توقف في القاهرة، حيث لقي ترحيبا كبيرا، وتولى التدريس بالأزهر، ثم عيّن قاضي القضاة المالكية، وفي عام 1400م، كلّفه سلطان دمشق بمهمة قضائية أثناء مواجهة خطر التتار، وبعد عودته، واصل عمله في القضاء بمصر حتى وفاته سنة 1406م.

في الحقيقة، تمكن هذا المفكر العربي من تقديم إسهامات بارزة في تشكيل وتطوير الفكر الإنساني، فقد استفاد، بصفته سياسيا، من علوم عصره ومن ملاحظاته الميدانية التي جمعها خلال تنقلاته المتعددة، وقد ساهم ابن خلدون في العديد من الجوانب الاجتماعية، مما دفع كثيرين إلى اعتباره مؤسس علم الاجتماع، خاصة أنه شدد على ضرورة أن يكون لكل علم جديد موضوع محدد، وقد اختار لهذا العلم موضوع "العمران البشري".

ويتجلى ذلك بوضوح في مقدمته الشهيرة، المعروفة بـ"**مقدمة ابن خلدون**"، حيث عرض من خلالها تصوراته الاجتماعية مستندا إلى أساليب البحث الاجتماعي والإيديولوجي والتاريخي المتميزة، وذلك من خلال تقصيه للواقع وتحليله وجمعه للمادة العلمية، وتعكس هذه المنهجية اهتمامه العميق بدراسة المجتمع وقضاياه بطريقة تحليلية دقيقة، كما أثار ابن خلدون اهتمام العلماء والمفكرين الأوروبيين، باعتباره فيلسوفا وعالما اجتماعيا ومؤرخا، نظرا لعلميته وموضوعيته ودقة تحليلاته، فضلا عن أهمية الموضوعات التي تناولها والدور الذي لعبه في تأسيس أسس العلم والمعرفة، وقد اعتبره بعض المفكرين الغربيين "أول عالم اجتماع حقيقي أرسى قواعد ومبادئ علم الاجتماع."

وتجدر الإشارة إلى أن المقدمة الشهيرة التي كتبها ابن خلدون هي جزء من كتابه التاريخي "**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من**

ذوي السلطات الكبرى"، حيث تناول فيه العديد من القضايا الاجتماعية وأرسى فيه قواعد علمه الجديد، المعروف بعلم "**العمران البشري**"[1]، ابتكر ابن خلدون علم العمران البشري، معبّرا عن ذلك بقوله: «ألهمني الله إلى ذلك إلهاما، واخترعه من بين المناحي مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة وأسلوبا»، وأضاف: «وبعد أن أستوفيت علاجه وأنرت مشاكله للمستبصرين، وأذكيت سراجَه، وأوضحت بين العلوم طريقه ومناهجه، وأوسعت في فضاء المعارف نطاقه وأدرت سياجه، فأنشأت في التاريخ كتابا رفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجاجا، وفصلته في الأخبار والاعتبار بابا، وأبديت فيه لأولية الدول والعمران عللا وأسبابا، وبنيته على أخبار الأمم الذين عمرو المغرب في هذه الأعصار وملأوا أكناف الضواحي منها».

ويعرف ابن خلدون علم العمران: بأنه العلم الذي يبحث في أحوال العمران والتمدن، ويستقصي القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية، حيث يعد هذا العلم مستقلا بذاته وله موضوعه الخاص وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، بما يدرس ما أطلق عليه "الواقعات الاجتماعية"، وهو ما يعرف اليوم بالظواهر الاجتماعية.

ثانيا: الظاهرة الاجتماعية عند ابن خلدون:

يرى ابن خلدون أن الظواهر الاجتماعية، أو الواقعات الاجتماعية كما سماها، تخضع لقوانين مماثلة لتلك التي تنظم حركة الظواهر الطبيعية، وتفرض سيطرتها على الناس بحيث لا يمكن للأفراد التحكم فيها، وأكد على ضرورة دراسة الظاهرة الاجتماعية في حالتي استقرارها وتغيرها وتطورها، وبالاستعانة بالمصطلحات العلمية الحديثة، يمكن القول إن ابن خلدون درس الظواهر الاجتماعية من الناحيتين الاستاتيكية والديناميكية، حيث أولى أهمية كبيرة للتحليل التطوري بجانب دراسة الحالة الراهنة للظواهر كما هي في المجتمع.[2]

---

[1] بوغرزة رضا، **محاضرات في مقياس مدخل في علم الاجتماع، مطبوعة موجهة لطلبة التعليم الأساسي للعلوم الاجتماعية – سنة أولى-** ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التعليم الأساسي للعلوم الاجتماعية، جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل-، 2019/2018، ص40.

[2] نفس المرجع، ص41.

وقد أولى ابن خلدون في تحليله ودراسته للنظم العمرانية اهتماما كبيرا بمزاوجة الدراسة الاستاتيكية مع الدراسة التطورية للظواهر الاجتماعية، فكان يدرس عناصر الظاهرة وأجزائها ووظائفها وما يتعلق بمسائل الحالة الثابتة، دون أن يغفل عن مدى تطورها والقوانين التي تحكمها، وقد استنتج أن الحوادث والظواهر الاجتماعية لا تسير وفق الصدفة أو إرادة الأفراد، بل لها قوانين ثابتة تشبه في ثباتها قوانين الظواهر الطبيعية، داعيا إلى اتباع منهج دقيق لتحقيق الأحداث وفهم الظواهر الاجتماعية.

ثالثا: منهج ابن خلدون في دراسة الواقعات الاجتماعية

دعا ابن خلدون إلى الاعتماد على الملاحظة المباشرة والمقارنة والتجريب، مع فهم الوقائع في سياقها الزمني الخاص، واستخدام التحليل العقلي الذي يكشف أوجه الاختلاف والتشابه بين الظواهر، وصولا إلى استخراج القوانين والمبادئ التي تحكم المجتمع.

رابعا: ضرورة الاجتماع الإنساني:

توصل ابن خلدون من خلال دراسته للعمران البشري إلى أن المجتمع أمر طبيعي وضروري، إذ إن الإنسان بطبيعته مدني، ولا يمكنه العيش منفردا أو بمعزل عن الآخرين، فالأفراد بحاجة دائمة إلى التعاون المتبادل لتحقيق حاجاتهم الدفاعية والاقتصادية، ويؤدي ذلك إلى قيام التضامن الاجتماعي كأحد أقوى الدعائم التي يقوم عليها المجتمع، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون إن الإنسان لا يمكنه تلبية احتياجاته الأساسية بمفرده، كتحضير الغذاء، فكل عملية – من الحرث إلى الطهي إلى الصناعات المساندة مثل الحدادة والنجارة – تتطلب تعاون مجموعة من الناس، وإلا تعذر حصول الفرد على حاجاته، كما أن قدرته على مواجهة المخاطر الطبيعية والحيوانية محدودة دون تعاون الآخرين.

مفهوم العصبية والتضامن الاجتماعي:

أخذت العصبية والتضامن الاجتماعي حيزا مهما في فكر ابن خلدون، باعتبار العصبية محور نظرية قيام الدول وسقوطها، والعصبية عنده لا تعني العصبية الجاهلية العمياء، بل تشير إلى رابطة دم أو قرابة، أو رابطة نفسية واجتماعية تربط أفراد القبيلة ببعضهم البعض، وتعمل كأساس لتماسك الجماعة وبناء السلطة والنظام الاجتماعي.

وترتبط العصبية عند ابن خلدون أيضا برابطة الحلف والولاء، إضافة إلى شرط الملازمة بين الأفراد، أي القرب الجغرافي والعيش المشترك، حيث يكون التفاعل الاجتماعي ممكنا وفعالا، فالعصبية في كثير من الأحيان تفقد معناها إذا غاب هذا القرب والتواصل اليومي بين الأفراد، وتستمر العصبية وتتعزز بوجود هؤلاء الأفراد واستمرار تكاثرهم وتناسلهم، مما يؤدي إلى نشوء شعور جماعي يدعم مبادئ الدفاع عن الجماعة والمناصرة فيما بينها، ويظهر ذلك في التمسك بالحقوق والمصالح المشتركة، في هذه الحالة، يذوب الفرد في الجماعة، ويصبح ولاؤه الجماعي سائدًا على اعتبارات الذات الفردية.، [1] ويشعر الفرد في هذا الإطار بأنه جزء لا يتجزأ من أفراد عصبته، وهو شعور جماعي مشترك بين أعضاء العصبة، إذ يمثل رابطا أساسيا يربط الفرد بالجماعة، وعندما يتعرض النظام العصبي للعدوان الخارجي، يظهر ما يسميه ابن خلدون بـ"الوعي بالعصبية"، وهو الركيزة الأساسية التي تجمع أفراد العصبة وتقوي تماسكهم، وتعد العصبية عنده أداة للحماية والدفاع، إذ أن النظام القبلي هو الذي أنتج مفهوم التعصب القبلي لضمان حماية الأفراد والدفاع عنهم، فضلا عن المطالبة بالسلطة والسيادة على القبائل المجاورة، وبالتالي، فإن الحماية والدفاع والمطالبة بالسلطة ليست سوى تبريرات للعصبية، التي تظل سببًا رئيسيًا لاستمرار الصراعات الاجتماعية داخل المجتمع، لا سيما إذا اقترنت بالعوامل المرتبطة بالحضارة أو بالشجاعة والإقدام والتوحش.

[1] نفس المرجع، ص ص 42، 43.

ظهر الدولة أو الحكومة عندما يؤدي الصراع بين الجماعات إلى استيلاء المجموعة الأقوى والأكثر تماسكا وعصبية على السلطة، بينما تنهار الدولة إذا ضعفت العصبية وتلاشى التضامن الاجتماعي الضروري لحمايتها، فالعصبية والدين والتضامن الاجتماعي تعد عوامل أساسية في قيام الدولة، إذ تسعى العصبية دائما إلى غاية أساسية تتمثل في تكوين الملك السياسي، أي بناء الدولة، ويقول ابن خلدون في هذا السياق: «إذا كان الملك غاية للعصبية، فهو غاية لفروعها ومتمماتها».

ويعتبر ابن خلدون أن العصبية تمثل قوة جذب خاصة، إذ تجمع الأفراد حول بعضهم البعض وحول مركزها، لتشكل جماعة قوية مترابطة عبر الروابط الاجتماعية مثل صلة الرحم والنسب والولاء والأخلاق. وباختصار، فإن العصبية التي تساعد على تأسيس الدولة تنشأ من مزيج بين الالتحام الاجتماعي من جهة، وعلاقات التبعية والسلطة للزعيم من جهة أخرى، وهذه التبعية غالبا ما تكون ضمنية وغامضة، كما أشار إلى ذلك ألفريد سوفّي (Alfred Sauvy).

خامسًا: إشكالية قيام الدولة أو الملك عند ابن خلدون:

شكل مفهوم الدولة حيزا مهما في فكر ابن خلدون، حيث اعتبر ظاهرة قيام الدولة مسألة سياسية واجتماعية متغيرة، تخضع لقوانين التغير الاجتماعي، وقد شبهها بالكائن الحي الذي يمر بدورة حياة تبدأ بالنشأة، ثم التطور والازدهار، وتنتهي بالزوال، ويرى ابن خلدون أن الدولة لا يكتمل وجودها إلا بوجود أربعة عناصر متكاملة: الجماعة، العصبية، الأرض، والسلطة.

كما يؤكد ابن خلدون على أن الدولة ليست ظاهرة مستقرة أو دائمة، فاستمرارها مرتبط بعدم ثبات الظواهر الاجتماعية عمومًا، فهي دائمًا عرضة للتغير والتحول.

سادسا: أطوار حياة الدولة حسب ابن خلدون

حدد ابن خلدون حياة الدولة بثلاثة أطوار رئيسية:

حدد ابن خلدون دورة حياة الدولة بأطوار رئيسية أربعة:

الطور الأول: الاستيلاء على السلطة

في هذا الطور تكون العصبية قوية للغاية، ويظل الحاكم مرتبطا بقبيلته، حيث يسعى إلى تحقيق مطالبها وإشباع حاجاتها، وتظل مظاهر البداوة سائدة، ولا يلاحظ فرق كبير بينها وبين المرحلة السابقة، مما يعكس قوة الروابط القبلية وتأثيرها المباشر على السلطة.

الطور الثاني: توطيد السلطة

في هذه المرحلة يبدأ الاهتزاز في العصبية، ويظهر تناقض بين الحاكم وقبيلته بسبب خدمة مصالحه الخاصة وحاشيته، واحتكاره للسلطة، كما تبدأ النزاعات والانشقاقات، وتضعف العلاقة بين الحاكم وأفراد العصبية شيئا فشيئا، ويصاحب هذا الطور توسع الدولة وزيادة فرض الضرائب، ما يؤدي إلى تغير طبيعة العلاقة بين السلطة والعصبية.

الطور الثالث: ذروة السلطة أو القمة

في هذه المرحلة يزداد التباعد بين الحاكم والعصبيات القبلية التي ساهمت في وصوله إلى السلطة، فيسود الحكم التسلطي والاستبداد، ومع تطور الصناعة والحرف وازدياد جمع الضرائب لصالح الحاكم وحاشيته، يتم تعويض العصبية بالمال، ويعتمد الحاكم على عناصر خارجية غير منتمية لقبيلته، وتصل معالم التحضر إلى ذروتها، ويظهر الرفاه والترف، بينما تتراجع قوة العصبية التقليدية.

الطور الرابع: الزوال والانهيار

يبلغ التناقض بين العصبية والملك ذروته نتيجة انهيار الملك الذي أنفق على مساعديه الأجانب وغير المنتمين لعصبيته، ما يؤدي إلى زيادة الضرائب وخنق التجارة والصناعة والزراعة، ويفقد الحاكم قاعدته الشعبية بسبب تخليه عن العصبية القبلية، في حين تستيقظ عصبية قبلية أخرى لتستولي على السلطة من خلال ثورة جديدة، وتبدأ دورة جديدة مشابهة للدورة السابقة.

سابعا: نظرية القهر الاجتماعي (المحاكاة) أو تقليد الغالب

يرى ابن خلدون أن الشعوب المغلوبة تميل إلى الاقتداء بالغالب، فتتخذ منه مثالا في عاداتها وتقاليدها وملابسها وأعرافها وقوانينها، ويعزو السبب إلى ميل النفس البشرية إلى الاعتقاد بالكمال في من غلبها، سواء بسبب التعظيم أو الظن بأن الانقياد للغالب نابع من كماله، وعليه، يحاول المغلوب محاكاة الغالب ظنا منه أن الاقتداء به سيكسبه نفس مستويات التطور والنجاح والرقي، اعتمادًا على اعتقاده بكمال الغالب..[1]

المخطط الأول: قانون تطور الأمم عند ابن خلدون

مرحلة النشأة مرحلة القوة والازدهار مرحلة الانحدار

(0-40 سنة 80-40) (سنة 120-80) (سنة(

| تكوين العصبية | | استقرار الحكم | | ضعف العصبية|

| وحدة الصف | | ازدهار الاقتصاد | |الترف والفساد|

| الحماس للبناء | | قوة الجيش | | النزاعات|

- **شرح للطلبة:**

- **مرحلة النشأة** :الأمة تتشكل من جماعة قوية متماسكة، غالبا من البدو أو القبائل، وتكون لديهم عصبية قوية ورغبة في تأسيس الدولة.
- **مرحلة القوة** :الدولة تبلغ ذروتها من حيث العمران، الاقتصاد، والعلم.

[1] نفس المرجع، ص ص 46، 47.

- **مرحلة الانحدار** :يبدأ الضعف بسبب فقدان العصبية وانتشار الترف والفساد، مما يؤدي لانهيار الدولة.

المخطط الثاني: الفرق بين البدو والحضر عند ابن خلدون

الجانب	البدو	الحضر
أسلوب الحياة	بسيط، يعتمد على التنقل والرعي	معقد، يعتمد على الاستقرار والعمران
العصبية	قوية ومتينة	ضعيفة نسبيًا
الاقتصاد	معيشي يعتمد على الضروريات	تجاري وصناعي يعتمد على الكماليات
النظام الاجتماعي	قائم على القرابة والقبيلة	قائم على القوانين والمؤسسات
القيم	الشجاعة، الكرم، التضامن	الترف، الفن، الثقافة

- **مثال للطلبة:** إذا قارنا بين قبائل البدو في الصحراء الجزائرية وسكان المدن الكبرى مثل الجزائر العاصمة، نجد أن قيم التضامن والاعتماد على الأقارب أكثر وضوحًا في البدو، بينما في المدن نجد نظامًا مؤسسيًا وقوانين تنظّم العلاقات.

ملاحظة تعليمية: استخدام هذه المخططات في المحاضرات يجعل الطلبة يستوعبون الفروق والمراحل بسرعة، لأن المعلومات المرئية تترسخ في الذاكرة أكثر من النصوص المجردة .

ثامنا: إسهاماته في علم الاجتماع

يعتبر ابن خلدون المؤسس الفعلي لعلم الاجتماع، وفضله في ذلك يعود إلى عدة أسباب:

- **تسمية العلم:** كان أول من أطلق اسم "**علم العمران البشري**" على دراسة الظواهر الاجتماعية، وهو ما يُعرف اليوم بعلم الاجتماع.
- **تكامل الرؤية الإنسانية:** قدّم تصورا متكاملا للطبيعة البشرية، فلم يفصل بين أبعادها النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، على عكس بعض المفكرين الغربيين.
- **دراسة المجتمع في سياقه:** تناول الحياة الاجتماعية ضمن بيئتها وحضارتها، رابطًا بين الثقافة والمجتمع.
- **التمييز بين التاريخ والاجتماع:** فصل بين الظواهر التاريخية والظواهر الاجتماعية، معتبرًا أن لكل منهما منهجه وأدواته التحليلية.
- **التفرقة بين البدو والحضر:** قدّم تحليلا دقيقا للفروق بين المجتمع البدوي والمجتمع الحضري، من حيث أسلوب الحياة والتنظيم الاجتماعي.
- **قانون تطور الأمم:** وضع نظرية لدورة حياة الأمم تمر بثلاث مراحل (النشأة، القوة، الانحدار)، وحدد مدة كل مرحلة بأربعين عاما تقريبا.
- **المنهجية العلمية:** اعتمد أسلوب الملاحظة المباشرة (المشاهدة) كمنهج لاستخلاص القوانين الاجتماعية، مما جعله سابقًا لعصره في المنهج العلمي.

مثال تطبيقي للطلبة: يمكن تطبيق "قانون تطور الأمم" الذي وضعه ابن خلدون على دراسة الإمبراطوريات الحديثة، مثل الإمبراطورية البريطانية، التي مرت بمراحل صعود ثم انحدار مشابهة لما وصفه.

أمثلة تطبيقية حديثة:

إطلاق علم العمران البشري

الفكرة: دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها مرتبطة بالعمران ونشاط البشر.

مثال حديث: دراسة التحولات الاجتماعية في المدن الكبرى مثل الرياض أو دبي نتيجة التوسع العمراني والهجرة الداخلية.

تصور متكامل للطبيعة البشرية

الفكرة: الإنسان ككل متكامل (عقلي، عاطفي، مادي) دون فصل أبعاده.

مثال حديث: الأبحاث النفسية والاجتماعية التي تدرس تأثير الضغوط الاقتصادية على الصحة النفسية والسلوك المجتمعي معًا.

دراسة الحياة الاجتماعية في بيئتها

الفكرة: فهم المجتمع في سياقه الطبيعي والحضاري.

مثال حديث: دراسات سلوك المجتمعات الساحلية في الخليج العربي وتأثير البحر على ثقافتهم وعلاقاتهم الاجتماعية.

فصل الظواهر التاريخية والاجتماعية

الفكرة: التمييز بين ما هو حدث تاريخي وما هو ظاهرة اجتماعية مستمرة.

مثال حديث: التفرقة بين أحداث الربيع العربي (حدث تاريخي) وبروز ثقافة الاحتجاج والمطالبة بالحقوق (ظاهرة اجتماعية).

التمييز بين المجتمع البدوي والحضري

الفكرة: اختلاف البنية القيمية والاقتصادية بينهما.

مثال حديث: المقارنة بين القرى البدوية في صحراء سيناء والمراكز الحضرية في القاهرة من حيث أسلوب الحياة والروابط الاجتماعية.

قانون تطور الأمم

الفكرة: تمر الأمم بمراحل النشأة، القوة، ثم الانحدار.

مثال حديث: يمكن ملاحظة هذه المراحل في تاريخ بعض الدول مثل الاتحاد السوفيتي أو الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية.

الاعتماد على المشاهدة المباشرة

الفكرة: الملاحظة الميدانية أساس صياغة النظريات.

مثال حديث: البحوث الميدانية التي تدرس سلوك الشباب في الجامعات من خلال الملاحظة المباشرة في الحرم الجامعي.

2.أوجست كونت:

السيرة الذاتية: ولد أوجست كونت في مونبلييه في 20 يناير 1798، أظهر كونت براعته منذ مراحل الدراسة الأولى، حيث احتل المرتبة الرابعة في قائمة القبول بمدرسة البوليتكنيك متعددة التقانات في باريس عام 1814.

بعد عامين، أغلقت المدرسة بقرار من آل بوربون (Bourbons) مع فصل الطلاب، وفي أغسطس 1817، التقى كونت بهنري دي سان سيمون(Henri de Saint-Simon) ، الذي عينه سكرتيرا له ليحل محل أوغستين تييري(Augustin Thierry) ، ليبدأ بذلك كونت مشاركته في الحياة السياسية ونشر عدد كبير من المقالات التي جعلته معروفا للرأي العام، وأعاد كونت لاحقا نشر أهم هذه المقالات عام 1854، لتظل أفضل مقدمة لأعماله بشكل عام.

في أبريل 1824، انفصل كونت عن سان سيمون، ثم تزوج بعد فترة قصيرة مدنيا من كارولين ماسين(Caroline Massin) ، التي كانت ترافقه منذ عدة أشهر، وفي أبريل 1826، شرع في إلقاء دروسه حول الفلسفة الوضعية، والتي حضرها عدد من أبرز العلماء في ذلك الوقت، مثل فوربيه(Fourier) ، أ. فون هومبولت(A. von Humboldt) ، وبوانسو(Poinsot) ، توقفت هذه الدروس فجأة نتيجة إصابته بنوبة دماغية ناجمة عن الإرهاق والأحزان الزوجية،

فتم إرساله لتلقي العلاج عند الدكتور إسكيرول(Dr. Esquirol) ، وصنّف حين مغادرته على أنه "لم يشفَ"، وقد تعافى تدريجيًا بفضل صبر وإخلاص زوجته.

استئناف دروسه في الفلسفة الوضعية في يناير 1829 شكل بداية مرحلة جديدة في حياته استمرت لمدة 13 عاما، تضمنت خلالها نشر المجلدات الستة من كتابه "دروس" في الأعوام 1830، 1835، 1838، 1839، و1841.

استئناف كونت لدروسه في الفلسفة الوضعية في يناير 1829 شكل بداية مرحلة جديدة في حياته، استمرت لمدة 13 عاما، تضمنت خلالها نشر المجلدات الستة من كتابه "دروس" في الأعوام 1830، 1835، 1838، 1839، 1841، و1842، وخلال هذه الفترة، تراجع تدريجيا ارتباطه بالعالم الأكاديمي التقليدي، كما تم تعيينه مدرسا للتحليل والميكانيكا في مدرسة البوليتكنيك عام 1832، مما أتاح له مواصلة نشاطه العلمي والتعليمي بعيدا عن الانشغالات الأكاديمية التقليدية.[1]

في العام 1833 إنشاء كرسي في التاريخ العام للعلوم داخل كوليج دو فرانس College de France، ولكن دون جدوى، وقد قاده ترشيحان فاشلان لمرتبة بروفيسور في البوليتكنيك في العام 1842 إلى نشر «مقدمة شخصية» للمجلد الأخير من كتاب دروس، جعلته متخاصما مع العالم الجامعي إلى الأبد، ثم مثل العامان التاليان مرحلة انتقالية، ففي تتابع سريع، نشر كونت كتابه أطروحة أولية في الهندسة التحليلية Elementary Treatise on Analytic

إلى جانب عمله الرياضي الوحيد بعنوان *Geometry*، أصدر كونت أطروحة فلسفية في علم الفلك الشعبي عام 1844(*Philosophical Treatise on Popular Astronomy*) ، وهي نتاج دروس سنوية ألقاها للعمال الباريسيين بدأت في العام 1830، كما أشار في كتابه *الكلام في الروح الوضعية* (*Discourse on the Positive Spirit*)الذي نشر أيضا عام 1844، واستخدمه كمقدمة لأطروحته في علم الفلك، إلى تحول واضح في اهتماماته الفكرية

[1]أوغست كونت، **موسوعة ستانفورد للفلسفة**، ترجمة خالد أبو هريرة، 2022، ص8.

من خلال التركيز على البعد الأخلاقي للفلسفة الوضعية الجديدة، بعد أن نظم العلوم، أصبح كونت قادرا على العودة إلى اهتمامه الأساسي بالفلسفة السياسية.

وحصل الاعتراف العام بكونت كفيلسوف وضعي مستقل ومعارض للسان سيمونيين قبل عشرين عاما، من خلال مقالات إميل ليتري (*Émile Littré*) في صحيفة *لا ناسيونال Le*) (*National*كما شهد عام 1844 أول لقاء بين كونت وكلوتيلد دي فو *Clotilde de*) (*Vaux*), وقد اعتبر كونت هذا العام بداية مسيرته المهنية الثانية، وكان الموضوع الرئيس الذي ركز عليه في تلك المرحلة هو... [1]

وكان الموضوع الرئيس لهذه المسيرة الثانية هو ما أسماه كونت بـ«هيمنة القلب المستمرة»، وتشهد المراسلات الوفيرة على شغفه الكبير، فقد وجد الوقت، رغم عبء التدريس الثقيل، للبدء في تطوير *نظام السياسة الوضعية* (*System of Positive Polity*), الذي كان قد أعلن عنه في نهاية كتابه *دروس*، وبعد وفاة كلوتيلد دي فو في أبريل 1846، ارتقى كونت بعاطفته تجاهها إلى درجة تبجيلها كما لو كانت معبودا حقيقيا، وانتهت مراسلاته معها التي بدأت منذ ديسمبر 1841.

في العام التالي، اختار كونت موضوع "تطور الإنسانية" كموضوع جديد لدروسه العامة، وكان ذلك مقدمة لما سيصبح لاحقا *دين الإنسانية الجديد*، وقد أظهر كونت دعمه المتحمس لثورة 1848، فأسس الجمعية الوضعية (*the Positivist Society*) على غرار نادي اليعاقبة، ونشر *الرؤية العامة للوضعية* (*General View of Positivism*)، الذي يعتبر مقدمة لكتابه المرتقب *نظام السياسة الوضعية* ودين الإنسانية، كما وضع *التقويم الوضعي* (*Positivist Calendar*) .

[1] نفس المرجع، ص9.

وفي الفترة من 1851 إلى 1854، هيمنت أعماله على الساحة الفكرية بظهور المجلدات الأربعة من كتاب *نظام السياسة الوضعية*، والذي توقف لبضعة أشهر أثناء تأليفه لتضمينه تعاليم دين الإنسانية.

في عام 1852، أصدر كونت *الوضعي* .(*Catechism of Positive Religion*)وبعد إعفائه من جميع واجباته في مدرسة البوليتكنيك، أصبح يعيش على «الإعانة التطوعية» التي بدأها أتباعه في إنجلترا، والتي امتدت لتشمل متبرعين من مختلف البلدان، وفي ديسمبر 1851، أبدى كونت تأييده لانقلاب نابليون الثالث (*Napoleon III*) الذي أنهى ما أسماه بـ«الفوضوية» البرلمانية، رفض إميل ليتري اتباع كونت في هذه النقطة، كما هو الحال في مسألة الدين، وأنهى علاقته به بعد فترة قصيرة، وعندما خاب أمله سريعا في الإمبراطورية الثانية، وجه كونت آماله إلى القيصر نيكولاس الأول (*Nicholas I*) الذي تواصل معه بالمراسلة.

في عام 1853، نشرت هاربيت مارتينو ترجمة إنجليزية مختصرة لكتاب *دروس في الفلسفة الوضعية* .وبعد شعوره بخيبة أمل من الاستقبال الهادئ الذي حاز عليه عمله بين الأكاديميين والمشتغلين، أصدر كونت كتابه *دعوة المحافظين* (*Appeal to Conservatives*)في عام 1855، وفي العام التالي، نشر المجلد الأول من عمله حول فلسفة الرياضيات، الذي أعلن عنه عام 1842، تحت العنوان الجديد *التركيب الذاتي* (*Subjective Synthesis*)أو *النظام الكوني للمفاهيم المتكيفة مع الحالة الطبيعية للإنسانية* (*Universal System of the Conceptions Adapted to the Normal State of Humanity*).

ومع انشغاله المتزايد بدوره كـ«كاهن أكبر للإنسانية»، أرسل كونت مبعوثا إلى اليسوعيين في روما يقترح التحالف مع الـ«إغناسيين.(*Ignacians*) «

توفي أوجست كونت في 5 سبتمبر 1857، دون أن يتمكن من تحرير عدد من النصوص التي أعلن عنها قبل نحو 35 عاما، منها :*أطروحة التعليم الكوني* (*Treatise of Universal*

(*Education*التي كان يخطط لنشرها في 1858، و*نظام الصناعة الوضعية* (*System of Positive Industry*أو *أطروحة العمل البشري الشامل على الكوكب* (*Treatise on the Total Action of Humanity on the Planet*المخطط نشرها عام 1861، وأخيرا *أطروحة الفلسفة الأولى* (*Treatise of First Philosophy*)التي خطط لنشرها عام 1867..[1]

3.ماكس فيبر:

أولا: السيرة الشخصية والبيئة الاجتماعية

ولد ماكس فيبر (1864–1920) في أسرة بروتستانتية ألمانية، ودرس التاريخ والاقتصاد والقانون والفلسفة واللاهوت، متأثرا بتعاليم الفلسفة الألمانية، وقد اهتم بروح الإنسان كما تجلت في البروتستانتية، وخاصة بالقيم الأخلاقية، ورأى الفرد كفاعل نشط، لا كدمية سلبية في حركة التاريخ، وشارك فيبر مشاركة إيجابية في النشاط السياسي بألمانيا، وتعكس أعماله الأساسية اهتمامه بتطور نسق القيم الإنسانية ودورها في المجتمع.

ثانيا: أشهر أعماله وأهم مؤلفاته

- الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، صدر عام 1905.
- الاقتصاد والمجتمع، نشر عام 1913.
- علم الاجتماع الديني، صدر عام 1920.
- نظرية التنظيم الاقتصادي والاجتماعي.

ثالثا: الأهداف

[1] نفس المرجع، ص ص 10، 11.

عرف فيبر علم الاجتماع بأنه العلم الذي يسعى لفهم وتفسير السلوك الاجتماعي للوصول إلى تفسير أسباب هذا السلوك ونتائجه، ويشتمل هذا التعريف على عناصر أساسية، أهمها:

- محاولة الفهم والتفسير العلمي للسلوك الاجتماعي.
- التركيز على الفعل الاجتماعي باعتباره مرتبطا بالمعنى الذاتي، مع التأكيد على القيم
- الاجتماعية كعنصر أساسي.
- اكتشاف تفسيرات علمية للظواهر الاجتماعية.

اهتم فيبر بالفهم الموضوعي للقيم الاجتماعية في سياق التاريخ، وحاول تحديد تأثيرها السوسيولوجي على المجتمع، وتضمنت أعماله دراسات عن الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية والسلطة والإلهام، والبيروقراطية والعقلانية، كما درس أخلاق البيوريتانية وروح التقشف والزهد، ويرى أن مهمة علم الاجتماع دراسة القيم الأساسية التي تحدد السلوك الاجتماعي في مراحل معينة من التطور التاريخي للمجتمع، سواء على نطاق واسع أو في بناء المجتمع، كما فعل المنظرون الذين درسوا النماذج العضوية واتجاهات الصراع الاجتماعي.

رابعا: أهم الافتراضات الأساسية

- يرى فيبر أن للفعل الاجتماعي معنى عند الفاعل عندما يمنحه معنى ذاتيا، مراعيا سلوك الآخرين وموجّهًا سلوكه وفق ذلك.
- توجد عدة أنماط مميزة للمعنى:
- المعنى الحقيقي للفعل الفردي المحسوس (المعنى الذاتي).
- المعنى المقصود على مستوى الجماعة أو المستوى المعياري.
- المعنى المناسب بصياغة علمية مجردة (النموذج النظري والمجرد). ويتلائم كل نمط من هذه الأنماط مع المستويات المختلفة للتفسير العلمي.

كما اعتبر فيبر الفعل الاجتماعي فعلا تتباين فيه مستويات العقلانية، وحدد أربعة أنماط للفعل الاجتماعي:

أ .**الفعل الاجتماعي التقليدي** :وهو السلوك اليومي الذي تحدده العادات والتقاليد والأهداف.

ب .**الفعل الاجتماعي الوجداني** :وهو السلوك الوجداني والعاطفي.[1]

ج .**الفعل العقلاني الموجه نحو قيمة مطلقة** :وهو الفعل الاجتماعي الذي يتحدد وفق مجموعة من القيم والأخلاق، حيث يوجه سلوك الأفراد بحسب هذه المبادئ المطلقة.

د .**الفعل العقلاني الموجه نحو غايات فردية** :ويعني تفسير الغايات والوسائل والنتائج الثانوية تفسيرًا عقلانيًا، بحيث يخطط الفاعل لأهدافه الفردية وفق وسائل عقلانية لتحقيقها.

يشير فيبر إلى أن هذه الأنماط من الأفعال ليست شاملة أو مطلقة، بل تشكل طيفا متصلا من التوجيهات الاجتماعية، يبدأ من الثقافات التي تقل فيها الفردية وتزداد فيها سيطرة التقاليد، وينتهي بالثقافات التي تغلب عليها الفردية وتضعف فيها قوة التقاليد والأعراف.

ويبرز فيبر هذا الطيف عند تحليله لأنواع السلطة والشرعية والعلاقات الاجتماعية والروابط والجماعات المتحدة وأشكال الضبط الاجتماعي المرتبطة بكل اتجاه:

- **الأفعال التقليدية** :تستند شرعيتها على الاتجاهات الدينية، وعلاقات التضامن فيها مشتركة ومتماسكة، الروابط فيها إجبارية وقهرية، والجماعات المتحدة جماعات سياسية، ويعتمد الضبط الاجتماعي على فرض النظام.
- **الأفعال الوجدانية** :تقوم على الولاء العاطفي، والروابط فيها إرادية، والجماعات المتحدة جماعات ثورية، ويعتمد الضبط الاجتماعي على السلطة.
- **الأفعال العقلانية الموجهة بالقيم المطلقة** :تحدد السلطة الشرعية فيها القيم المطلقة السائدة، والعلاقات قائمة على الروابط الإلزامية، والجماعات المتحدة جماعات دينية، ويعتمد الضبط الاجتماعي على فرض النظام.

[1] رباح مجيد الهبتي، **النظريات الاجتماعية**، ص ص 1، 2.

- **الأفعال العقلانية الموجهة نحو الغايات الفردية** :تعتمد على تحقيق مصالح الذات، والترابط العقلاني، والروابط الإلزامية، والجماعات السياسية، حيث تحقق السلطة الضبط الاجتماعي وفق منظومة عقلانية.

وبذلك، تظهر أشكال الفعل الاجتماعي المختلفة كامتداد للطيف بين التقليدي والوجداني والعقلاني، مع اختلاف مصادر الشرعية، وطبيعة الروابط، وأساليب الضبط الاجتماعي في كل حالة، مختلفة من المجتمع وأنواع متباينة من الأفعال الاجتماعية تستند على أنماط متعددة من القيم ومستويات متباينة من العقلانية التي تباين السلوك ما بين المصالح الفردية والمصالح الجمعية.[1]

وتنشأ أشكال السلوك الاجتماعي الأكثر عقلانية نتيجة عملية التنافس، التي تؤدي بدورها إلى انتقاء الأفراد الذين يتحلون بأرقى الخصائص والمهارات الشخصية، ويتغير شكل هذا التنافس بين سلمية وعنفية، ويتأرجح بين الاعتماد على القيم التقليدية والقيم الكارزمية، ويعتمد ذلك على طبيعة ونوع الأهداف المتأصلة في بنية المجتمع.

ويرى فيبر أن العقلانية الاجتماعية تؤدي إلى نشوء شكل خاص من البيروقراطية، الذي يساعد على ظهور بناء مؤسسي منظم، يتميز بتحديد واضح للأدوار والمعايير والجزاءات، وعندما يبلغ المجتمع هذه المرحلة من التطور، تتاح له فرص أكبر لضبط السلوك الاجتماعي، وتحقيق السيطرة والتنظيم، مع تعزيز العلاقات الاجتماعية المنظمة والفعالة داخل المجتمع.

ويلاحظ فيبر أن اللاشخصية في المؤسسات تتصادم أحيانا مع الحاجة إلى الكفاءة الاقتصادية، خصوصا في سياق حركة التصنيع، ويمكن تلخيص فكر فيبر في تركيزه الأساسي على فهم معنى الفعل الاجتماعي، ومحاولة تحديد العلاقة بين أنماط الفعل الاجتماعي وأشكال

[1] نفس المرجع، ص3.

الأبنية الاجتماعية التي تسود فيها هذه الأفعال، بما يتماشى مع انتقال المجتمع من الحالة التقليدية إلى مرحلة التحديث أو العقلانية، وخصوصًا تحت تأثير الأخلاق البروتستانتية.

ورأى فيبر أن المجتمع الذي يحكمه مبدأ الاختيار الطبيعي أثناء عملية التنافس هو الأكثر عقلانية، حيث يصل إلى مستوى عال من البيروقراطية نتيجة التقدم الصناعي، بشكل عام، اهتم فيبر بالعلاقة بين القيم الفردية والبناء الاجتماعي، ومدى تأثيرها على التنظيم الاجتماعي والاقتصادي.

خامسا: المنهج

حدد فيبر عددا من أنماط المعنى الاجتماعي، واهتم بوضع مدخل متعدد المستويات لدراسة الظواهر الاجتماعية، ويشتمل هذا المدخل على أداتين منهجيتين أساسيتين: الأولى، *الفهم التفسيري*، والثانية، *التجربة المتخيلة*.

- **الفهم التفسيري** :يهدف إلى تفسير معنى السلوك على مستوى الفرد والجماعة، وإعادة بناء نماذج منطقية وصورية أو أنماط متتالية للمعنى الاجتماعي.
- **التجربة المتخيلة** :تكمل الأداة الأولى، حيث تسمح بمحاكاة الحالات والظروف الاجتماعية لفهم النتائج والتأثيرات المحتملة للسلوكيات والقيم على بناء المجتمع.[1]

الارتباط بين الأنواع الممكنة للمعنى الاجتماعي (أي تصور مجموعة من الدوافع)) وفي كلتا الحالتين يعطي فيبر تأكيدا أكبر على محاولة كشف الطبيعة الخاصة للدوافع التي وراء الفعل الاجتماعي محور الاهتمام، ويبين تحليل أعمال فيبر أنه استخدم هاتين الأداتين المنهجيتين للربط بين الأخلاق والبروتستانتية والرأسمالية وأخلاق البيوريتانية والتقشف وربط التقشف الديني بالتحول إلى النزعة البيروقراطية ويبدو واضحا من تحليل أعمال فيبر أنه اهتم بالربط بين الدوافع والعقل الاجتماعي وبين القيم والسلوك الاجتماعي.

[1] نفس المرجع، ص4.

يرتكز تحليل فيبر للمجتمع على نمطين أساسيين متأصلين في أعماله :**أنماط الفعل الاجتماعي ونمط البيروقراطية**، حيث تعكس البيروقراطية الخصائص الجوهرية المرتبطة بأكثر أنماط الفعل الاجتماعي عقلانية.

أولا: أنماط الفعل الاجتماعي

صنف فيبر أنماط الفعل الاجتماعي إلى أربعة أنماط رئيسية:

أ- **الفعل التقليدي** :يقوم على العادات والتقاليد المتوارثة.

ب- **الفعل الوجداني** :يستند إلى الانفعالات والمشاعر الفردية.

ج- **الفعل العقلاني الموجه بالقيم المطلقة** :حيث يحدد السلوك الاجتماعي وفق مجموعة من القيم والأخلاق المطلقة.

د- **الفعل العقلاني الموجه نحو الغايات الفردية** :يركز على تحقيق أهداف محددة وفق وسائل عقلانية.

وقد بين فيبر أن معنى السلوك الاجتماعي يتحدد حسب حرية الفرد في اتخاذ القرارات، مع مراعاة تفسيره لسلوك الآخرين وتصوره لما يعنيه سلوكهم، كما أشار إلى أن التفاعل بين القيم التقليدية والقيم الكارزمية يعزز العقلانية الاجتماعية ويزيد من عملية الانتقاء القائمة على التنافس، ومن خلال هذه الأنماط، يقدم فيبر تصنيفا للقيم والعمليات الاجتماعية وما يترتب عليها من أنساق اجتماعية متطورة، مؤكدا أن دراسة نمط الأفعال تعد مساهمة أساسية في وصف أنماط المجتمعات وعناصرها الأساسية وتطورها.

ثانيا: نمط البيروقراطية

يتجه التطور الاجتماعي بحسب فيبر نحو زيادة العقلانية، والتي تتجسد في نمو النظام البيروقراطي، وقد حدد فيبر ثلاثة محاور رئيسية لدراسة البيروقراطية:

1-**الشروط والمتطلبات الأساسية لقيام البيروقراطية** :تشمل اقتصادا رأسماليا نقديا، وفرض الضرائب، وظهور حاجات ومطالب اقتصادية محددة، إضافة إلى تأثير بعض القيم الدينية، واختفاء القيم الأخلاقية التقليدية، وظهور المعرفة المتخصصة، وتطبيق نظام إداري فعال، وظهور الصراعات الاقتصادية والاجتماعية، وحاجات الرفاهية والاستهلاك، واستخدام أدوات الاتصال الحديثة، مع التمسك بالتقشف كعقيدة.

2-**خصائص النظام البيروقراطي** :تقوم على بناء تسلسل وظيفي واضح، وتدرج الأدوار، ووجود معايير محددة غير شخصية، ونظام حفظ المستندات، والتدريب على أداء الدور، وتحقيق الكفاءة الكاملة للموظفين.

3-**الآثار الاجتماعية للبيروقراطية** :تشمل تباين المستويات الاجتماعية والاقتصادية، وزيادة الفروق بين الطبقات، وظهور صراع بين البيروقراطية والديمقراطية، وزيادة الحاجة إلى ترشيد النظم الرئيسية في المجتمع مثل النظم التربوية والدينية والسياسية.

ومن هذا المنظور، بينما تسهم البيروقراطية في رفع مستوى الكفاءة التنظيمية، فإنها من جهة أخرى تعزز الضبط الاجتماعي وتكرس العلاقات اللاشخصية بين الأفراد.[1].

4.كارل ماركس:

بعد أن أسس أوجست كونت علم الاجتماع وأطلق عليه هذا الاسم، برزت إسهامات عدد من المفكرين الذين عاشوا في عصره أو تلاه، ومن أبرزهم كارل ماركس (1818–1883)، الذي يعد واحدا من أكثر المفكرين تأثيرا في تاريخ الفكر الإنساني.

لا يمكن دراسة مساهمات ماركس في تطور الفكر السوسيولوجي دون العودة إلى سيرته الذاتية، إذ تشكل خلفيته الشخصية ومدى تفاعله مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في أوروبا مدخلا لفهم نظرته ونظرياته، فقد نشأ ماركس في فترة عاشت فيها أوروبا تحولات

[1] نفس المرجع، ص ص5، 6.

عميقة أثرت في بنياتها الاجتماعية وأنظمتها الاقتصادية والسياسية؛ تأثر بشكل خاص بمخلفات الثورة الفرنسية والثورة الصناعية، إضافة إلى التحولات الثقافية التي شهدتها ألمانيا ودول أوروبية أخرى.

تزامن هذا مع إحياء النقاش حول القضايا الاجتماعية في القرن التاسع عشر، ما أعطى للحقل السوسيولوجي وعيا وإيديولوجيا متطورة، ومع انتشار وتوسع النظام الرأسمالي وبلوغه مراحل متقدمة تمثلت في المد الإمبريالي، ازدادت حدة الصراع بين الطبقة البورجوازية والطبقة العاملة، وقد وجدت الطبقة العاملة في النظرية الماركسية إطارا فكريا وحافزا لمواجهة خصمها التاريخي، بينما سعت البورجوازية إلى مواجهة المد الاشتراكي من خلال تطوير خطاب إيديولوجي .

في هذا السياق، ظهرت نظريات ومقاربات عديدة تركت بصمتها في علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية بشكل عام، من بينها النظرية الوظيفية التي انتشرت عالميا، كما تلتها البنيوية بمختلف توجهاتها، ومع ذلك، برزت الأفكار الماركسية كأحد أكثر التيارات الفكرية تأثيرا في القرن العشرين، بعد وفاة ماركس، نظرا لنجاحها في صياغة رؤية شاملة للصراع الاجتماعي ودور الطبقات في التاريخ..[1]

ولد كارل ماركس (Karl Marx) سنة 1818 في مدينة تريف Treves بمنطقة رينان في بروسيا، وكان والده محاميًا ليبراليًا تأثر بفكر الأنوار، مما ترك أثرا بالغا في تكوين شخصية ماركس وفكره. درس ماركس القانون والفلسفة وأبدى اهتماما كبيرا بتاريخ المجتمعات، كما اطلع على فلسفة هيجل وأفكاره، الأمر الذي دفعه للانضمام إلى حركة الشبيبة الهيجلية.

بدأ ماركس نشاطه الصحفي بإدارة "الصحيفة الرينانية" منذ سنة 1842، حيث نشر مقالات نقد فيها السياسة والحقوق في المجتمع الألماني، وساهم هذا النشاط في توسيع مداركه حول

[1] ذ.شفيق، وحدة أسس علم الاجتماع، المحاضرة التاسعة والعاشرة، جامعة ابن طفيل–كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية القنيطرة مسبك علم الاجتماع، 2021/2020، ص1.

تناقضات مجتمعه ومشكلاته، وناضل ضد سياسات تميل إلى السلطة المطلقة، وقد جرّ نشاطه السياسي عليه نقمة الحكومة البروسية، التي اعتبرته معارضا لها، مما اضطره للتنقل بين فرنسا وبلجيكا قبل أن يستقر به المقام في بريطانيا، حيث أقام حتى وفاته.

لقد شكلت أفكار ماركس أرضية خصبة لنقاشات عديدة، وألهمت نظريات لاحقة حاولت نقدها أو البناء عليها، مثل أعمال ماكس فيبر ودوركايم، وغيرهم من المفكرين الذين عكفوا على تفكيك أطروحاته وتحليلها.

على الرغم من أن ماركس لم يؤلف كتابا مستقلا حول علم الاجتماع ولم يستخدم هذا المصطلح صراحة، إلا أن كتاباته تصنّف من أهم الأعمال التي أغنت الحقل السوسيولوجي، باعتبارها محاولة منظمة لفهم المجتمع وتطوير علمه. وقد أسست نظريته لمعالجة قضايا التغير الاجتماعي وديناميةالعلاقات الاجتماعية من منظور اقتصادي، إذ اعتبر العامل الاقتصادي محددا رئيسيا في بناء المجتمع وتطوراته، دون أن يكون العامل الوحيد في التفسير.

لقد بيّن ماركس العلاقة المتبادلة بين العلاقات الاجتماعية وقوى الإنتاج، حيث تحدد هذه القوى العلاقات الاجتماعية، والتي بدورها تولد حاجات ووسائل جديدة لتلبيتها، وتبلورت نظريته في سياق اتسم بتحولات كبرى في الرأسمالية، متمثلة في بروز طبقات اجتماعية واضحة المعالم، بالإضافة إلى ظهور تيارات اقتصادية وفكرية شكلت تحديا ومجالا للنقد والتحليل العلمي لمساهماته.

تشكّل إسهامات مفكّري عصر ما قبل ماركس أرضية خصبة للنقاش والنقد الذي مارسه ماركس على الفلسفات السائدة في عصره، ومن هنا لا يمكن فهم فكر ماركس دون استحضار نقده لفلسفة هيجل المثالية، ونقده لمادية عصر الأنوار كما تجسدت في أعمال ديدرو وكوندياك ودلامبيير، والتي اعتبرها تفسيرات ميكانيكية ناقصة، كما يبرز في هذا السياق نقده الشديد لتفسيرات لودفيغ فويرباخ، الذي أثّر عليه في البداية ودفعه للقطع مع فلسفة هيجل والشباب

الهيجيلي، لكنه سرعان ما عاد لينتقد فويرباخ على وجه الخصوص في تصوراته حول التاريخ والمجتمع والقوى الأساسية المحركة للتاريخ.

على مستوى آخر، قام ماركس بنقد الاقتصاد الكلاسيكي وتصوراته المختلفة، معترفا بقيمة ما أنتجه كل من أدم سميث ودافيد ريكاردو، خاصة فيما يتعلق بمفهوم "قيمة البضائع" وعلاقتها بالعمل الضروري لإنتاجها، لكنه انتقد غياب البعد التاريخي في تصوراتهما للقيمة.

كما شمل نقد ماركس التوجهات الاشتراكية ذات الطابع الطوباوي، ومنها أعمال برودون وسان سيمون، مع إبراز نقده العميق لبرودون واشتراكياته الطوباوية في مؤلفه "بؤس الفلسفة"، حيث أبرز محدودية هذه التصورات في معالجة الصراعات الاجتماعية والاقتصادية الجوهرية."[1]

إذا أردنا تتبّع إسهامات كارل ماركس في علم الاجتماع، نجد أن أغلب ما ألفه يدخل في هذا الإطار، إذ شكلت مقاربته للطبقات الاجتماعية والدولة والإيديولوجيا، إضافة إلى تفسيره المادي للتاريخ والمجتمع، قضايا مركزية في حقل السوسيولوجيا، وفي هذا السياق، سنركز على أبرز محاور إسهاماته: تفسيره المادي للتاريخ، وتحديده لمفاهيم نمط الإنتاج، علاقات الإنتاج، وقوى الإنتاج، بالإضافة إلى تحليله للطبقات الاجتماعية والصراع الطبقي.

ثالثا: التفسير المادي للتاريخ

يتشكل التصور النظري لماركس من شقين أساسيين: الشق الأول يرتبط بما يسميه بالمادية الجدلية، أي الجانب الفلسفي من تصوره؛ أما الشق الثاني فيتعلق بالمادية التاريخية التي تتناول الجانب المادي للمجتمعات من خلال دراسة العلاقة بين الوعي الاجتماعي والوجود الاجتماعي، ومن هذا المنطلق، يرى ماركس أن الوجود الاجتماعي هو الأساس الذي ينبثق عنه الوعي،

[1] ذ.شفيق، مرجع سابق، ص ص 2-3.

بمعنى أن الأخير يظل انعكاسا للوجود الاجتماعي، الذي يعتبر واقعا موضوعيا مستقلا وفق منظور المادية التاريخية.

تركز المادية التاريخية على دراسة القوى المحركة لتطور المجتمعات، واستنباط القوانين العامة التي توجه هذا التطور، أي دراسة المجتمعات وتشكيلاتها الاقتصادية والاجتماعية، والإجابة عن مختلف الإشكالات المادية التي تواجهها، ومن ثم يتم تطبيق مبادئ المادية الجدلية على الحياة الاجتماعية، لتبرز المادية التاريخية كنظرية علمية للمجتمع والتاريخ، قادرة على تجاوز الكثير من العوائق الابستمولوجية والإيديولوجية التي كانت تحول دون إخضاع الظواهر الاجتماعية والتاريخية للتحليل العلمي، ومن أبرز هذه المساهمات، قدرتها على معالجة العلاقة بين الثابت والمتغير، وبين العوامل الذاتية والموضوعية في دراسة المجتمعات.

والموضوعي، بين العام والخاص....الخ، لقد غير ماركس زاوية اهتمامه من التأمل المجرد إلى التحليل الملموس، أي من الفلسفة والميتافيزيقا إلى الاقتصاد والتاريخ.[1]

قاد نقد كارل ماركس لفلسفة هيجل وفوير باخ إلى تبني تصور مادي للتاريخ، يمنح أهمية قصوى للعامل المادي في تفسير تطور المجتمع، باعتباره الأساس الذي تقوم عليه الحياة الاجتماعية، وفي هذا الإطار، يشير ماركس إلى أن الإنسان ينتج نفسه ومجتمعه من خلال العمل، مما يبرز أهمية البنية الاقتصادية كأساس يقوم عليه الصرح القانوني والسياسي للمجتمع، ويحدد من خلالها الوعي الاجتماعي، ويقول ماركس في هذا الصدد:

"يدخل الناس، في عملية الإنتاج الاجتماعي لحياتهم، في علاقات محددة ضرورية مستقلة عن إرادتهم؛ علاقات إنتاج تناسب درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية، ومجموع علاقات الإنتاج هذه تشكل البنية الاقتصادية للمجتمع، أي القاعدة الواقعية التي تقوم فوقها البنية الفوقية القانونية والسياسية، والتي تقابلها أشكال محددة من الوعي الاجتماعي".

[1] ذ.شفيق، مرجع سابق، ص4.

ويؤكد ماركس أن نمط إنتاج الحياة المادية يحدد سيرورة الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشكل عام، فوجود الناس في المجتمع، لا وعيهم، هو الذي يحدد طبيعة واقعهم الاجتماعي، إذ أن القوى المادية للمجتمع، بدرجة تطورها، تتفاعل مع علاقات الملكية القائمة، أي مع التعبير القانوني عن تنافس علاقات الإنتاج.

لم يقتصر ماركس على دراسة العلاقة بين الإنسان والطبيعة من خلال تحويل الطبيعة إلى منتجات، بل توسع في تحليل علاقة الإنسان بالإنسان، وأول تمظهر لهذه العلاقة وأكثرها طبيعية هو علاقة الرجل بالمرأة، والتي يُنظر إليها على أنها أساس تأنس الطبيعة لدى الإنسان، ومن هذه العلاقة تنشأ مبادلات المنتجات والأعراف المشتركة والخيرات والمصالح، مما يؤدي إلى تلبية حاجات الأفراد اعتمادا على عمل الآخرين، ويؤدي في الوقت نفسه إلى انفصال الإنسان عن نتاجه بفعل استبداله بالقيمة التبادلية للمنتج.

رابعا: أنماط الإنتاج، قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج

يتألف نمط الإنتاج في أي مجتمع من قوى منتجة تتشكل من أفراد وآلات وتقنيات، ومن علاقات إنتاج، مثل العبودية، والزراعة، والنشاط الحرفي، ويعتبر نمط الإنتاج القاعدة الأساسية التي تتشكل على ضوئها البنى الفوقية القانونية والسياسية والإيديولوجية، وبناءا على ذلك، يمكن التمييز بين:

القاعدة الاقتصادية (البنية التحتية) :التي تتشكل من قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج.

البنية الفوقية :التي تتمظهر في المؤسسات القانونية والسياسية، وفي أشكال الفكر والإيديولوجيات والفلسفات، أي كل ما لا يندرج ضمن الماديات، والذي يصنفه ماركس ضمن خانة الوعي الاجتماعي.

عكس قوى الإنتاج علاقة الإنسان بالطبيعة ومستوى التطور الذي بلغته، وتشمل وسائل الإنتاج، وهي كل الوسائل والأدوات والمواد والتقنيات المستخدمة في العملية الإنتاجية، بما في

ذلك الأرض، كما تشمل قوى العمل، أي كل الإمكانيات البشرية المتاحة، من مهارات فكرية وطاقة جسدية يمكن توظيفها في الإنتاج، وبذلك، تعد قوى الإنتاج مجموع الوسائل التي يستخدمها الإنسان لتلبية احتياجاته.

أما علاقات الإنتاج، فتشير إلى الطريقة التي يُنظم بها المجتمع نشاطه الاقتصادي، مثل الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج في النظام الرأسمالي، وتشكل في جوهرها "الشبكة الاجتماعية التي يتم من خلالها النشاط الاقتصادي"، والتي تتضمن الملكية وعلاقاتها. ويشكل مجموع علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج ما يسميه ماركس "نمط الإنتاج."

ويميز ماركس بين ستة أنماط إنتاج رئيسية:

1. نمط الإنتاج المشاعي البدائي.
2. نمط الإنتاج الآسيوي.
3. نمط الإنتاج القديم.
4. نمط الإنتاج الإقطاعي.
5. نمط الإنتاج الرأسمالي.
6. وأخيرًا نمط الإنتاج الشيوعي.

ويحدث الانتقال من نمط إنتاج إلى آخر عندما تنضج شروطه، إذ لا يمكن أن تختفي التشكيلات الاجتماعية إلا بتطور قوى منتجة قادرة على استيعابها وتحقيق الانتقال نحو النمط الجديد."[1]

خامسا: أنماط الانتاج، قوى الانتاج وعلاقات الإنتاج:

[1] ذ.شفيق، مرجع سابق، ص ص 5، 6.

يتألف نمط الإنتاج في أي مجتمع من عنصرين أساسيين :قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، فقوى الإنتاج تشمل الأفراد والآلات والتقنيات، أي كل الوسائل التي يستخدمها البشر لإنتاج ما يحتاجون إليه، وتشمل وسائل الإنتاج، بما في ذلك الأرض، وقوى العمل التي تتضمن المهارات الفكرية والقدرة الجسدية، أما علاقات الإنتاج فتشير إلى الطريقة التي ينظم بها المجتمع النشاط الاقتصادي، مثل الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج في النظام الرأسمالي، وتشكل "الشبكة الاجتماعية" التي يتم من خلالها النشاط الاقتصادي، ويشكل مجموع علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج ما يسميه ماركس نمط الإنتاج، الذي يمثل القاعدة الأساسية التي تبنى عليها البنى الفوقية القانونية والسياسية والإيديولوجية، أي المؤسسات والأفكار والوعي الاجتماعي.

يمكن التمييز بين ستة أنماط إنتاج رئيسية:

1. نمط الإنتاج المشاعي البدائي.
2. نمط الإنتاج الآسيوي.
3. نمط الإنتاج القديم.
4. نمط الإنتاج الإقطاعي.
5. نمط الإنتاج الرأسمالي.
6. ونمط الإنتاج الشيوعي.

ويحدث الانتقال من نمط إنتاج إلى آخر عندما تنضج الشروط الموضوعية لذلك، إذ لا يمكن أن تختفي التشكيلات الاجتماعية القديمة إلا بعد تطور قوى إنتاج جديدة قادرة على استيعابها.

وفي هذا السياق، يركز ماركس على تحليل تطور الرأسمالية، التي تتميز بامتلاك رأس المال والأصول الاقتصادية التي تستخدم في إنتاج أصول جديدة، واتساع انتشار العمل

المأجور، مما يؤدي إلى ظهور طبقتين أساسيتين :الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج (الرأسماليون) وطبقة العمال غير المالكة لوسائل الإنتاج، وعلى الرغم من تبادل الاحتياجات بين الطبقتين، حيث يحتاج الرأسمالي إلى العمال ويحتاج العامل إلى الأجر، فإن العلاقة القائمة على الاستغلال الاقتصادي تولد في الغالب صراعا بينهما يعرف بـ الصراع الطبقي.

وتتجاوز الفوارق الطبقية حدود المجال الاقتصادي لتطال الحياة الاجتماعية والسياسية، فتؤثر على المواقف الفردية والتصورات الإيديولوجية، ويظهر ذلك في الوعي الطبقي الذي يعكس انتماء الأفراد إلى طبقاتهم، ويؤكد ماركس على أن انقسام المجتمع إلى طبقات هو ظاهرة متجذرة في كل نظام اجتماعي، كما ورد في بيان الحزب الشيوعي الذي ألفه مع فريدريك إنجلز: "إن تاريخ أي مجتمع حتى الآن ليس سوى تاريخ صراعات طبقية: حر وعبد، سيد وعبد، برجوازي وبروليتاريا."

وصف ماركس الصراع الطبقي بين الفئات الاجتماعية المختلفة، مثل النبيل والعامي، البارون والقن، المعلم والصانع، أو الظالم والمظلوم، على أنه صراع دائم ومتواصل، يظهر أحيانا بشكل معلن وأحيانا خفيّ، هذه الصراعات قد تنتهي إما بـ تحولات ثورية شاملة للمجتمع، أو بهلاك كلا الطبقتين المتصارعتين، ويهدف التحليل الطبقي عند ماركس إلى كشف المصالح الفعلية للطبقات الاجتماعية، تلك المصالح الكامنة في مواقف الناس وأفكارهم وممارساتهم، ومعرفة هذه المصالح تتيح رسم خريطة دقيقة للهيمنة الطبقية لكل فئة، وتحديد مسار التاريخ واتجاه تطوره.

في سياق دراسة الصراع بين الطبقات، يعود ماركس في كتابه "رأس المال "إلى مفهوم القيمة وفائض القيمة لتوضيح طرق الاستغلال التي تتعرض لها الطبقات غير المالكة لوسائل الإنتاج، فالعامل الذي يبيع قوة عمله لأرباب العمل ينتج فائض قيمة، أي أن العمل الذي يقوم به يخلق قيمة إضافية يتم الاستحواذ عليها من قبل البورجوازيين، ويشرح ماركس أن استهلاك قوة العمل يعني إجبار العامل على ممارسة عمله، بحيث تتحقق قوة عمله بالفعل، ويصبح

عاملًا منتجًا بشكل فعلي، وليس فقط بصورة كامنة، ولكي يعبر العامل عن عمله، يجب أن يترجم هذا العمل إلى قيم استعمالية في السلع التي تلبّي الحاجات المختلفة للأفراد والمجتمع."[1]

تؤدي عملية بيع قوة العمل بالنسبة للبروليتاري إلى استغلاله بشكل مباشر، إذ يجبر العامل على إنتاج قيمة استعمالية معينة وفق ما يحدده الرأسمالي، وتحت إشرافه، ويظل هذا الإنتاج موجهًا لمصلحة الرأسمالي، فلا يغير ذلك من الطبيعة العامة للإنتاج نفسه، التي تظل إنتاجا للسلع بغرض الربح.

ينطوي كل منتج على قيمة مزدوجة :قيمة استعمالية وقيمة تبادلية، تمثل القيمة الاستعمالية ما يقدمه المنتج من إشباع للحاجات الإنسانية، أي فائدته المباشرة للإنسان، أما القيمة التبادلية، فترتبط بإمكانية مبادلة السلعة بمقدار مالي معين، ما يجعلها معيارا لتداول البضائع في السوق.

وفي كتابه "رأس المال"، بيّن ماركس أن القيمة التبادلية للبضاعة تتحدد بحسب الوقت اللازم لإنتاجها، وعلى الرغم من استناد ماركس إلى ما كتبه آدم سميث وديفيد ريكاردو حول قيمة البضاعة، إلا أنه انتقد تصورهما لقانون القيمة، الذي اعتبراه قانونا طبيعيا ذو استمرارية دائمة، مشددا بدلا من ذلك على الطابع التاريخي للقيمة، إذ إنها مرتبطة دائما بالظروف الاقتصادية والاجتماعية المحددة في كل مرحلة من مراحل التطور.[2]

يمكن فهم الاستغلال الذي تواجهه البروليتاريا في النظام الرأسمالي القائم على الملكية الخاصة من خلال تحليل طرق بيع قوة العمل، ففي هذا النظام، يستأجر الرأسمالي العمال لتأمين عمليات الإنتاج، حيث "لا يستطيع مالك النقد تحويل نقده إلى رأسمال إلا إذا وجد في سوق البضائع عاملا حرا بمعنيين: أولا، أن يكون العامل فردا حرا يتصرف بقوة عمله كبضاعة،

[1] ذ.شفيق، مرجع سابق، ص8.

[2] نفس المرجع، ص9.

وثانيا، ألا يملك أي بضاعة أخرى للبيع، أي أنه متحرر من جميع المواد الضرورية لتحقيق قوته العملية."

عند استئجار العامل، ينخرط الأخير في إنتاج يتجاوز قيمته التبادلية للمنتج، إذ يقضي أوقاتا إنتاجية تفوق الأجر الذي يتقاضاه، مما يولد فائض قيمة يستفيد منه الرأسمالي، ومن هذا المنطلق، يمكن التمييز بين ثمن شراء قوة العمل، الذي يتوافق مع ما يتقاضاه العامل، وثمن بيع البضاعة المنتجة، الذي يفوق بكثير الثمن الأول، ويساهم فائض القيمة هذا في تراكم رأس المال، ما يؤدي إلى اتساع الفجوة بين المستغلين والمستغلين، وينتج عنه صراع مستمر بين الطبقتين، يمتد ليأخذ أشكالا متعددة: اقتصادية، سياسية، وإيديولوجية.

في الأخير، يمكن استخلاص مجموعة من النقاط الأساسية حول فكر ماركس:

- أسهمت تفسيرات ماركس في إحياء روح جديدة في علم الاجتماع، بعد أن وسعت الوضعانية التي أسسها كونت إلى تسييد مفاهيمها، وقد انتقد ماركس الخلفيات الابستمولوجية والإيديولوجية للوضعانية، معتبرا أن الإنسان كائن نوعي والمجتمع كليّة تاريخية تتغير باستمرار، بعيدا عن التعامل مع المجتمع كشيء جامد كما تصور كونت، الذي حاول محاكاة مناهج علوم الطبيعة على دراسة المجتمع.
- على الرغم من أن العامل الاقتصادي كان محور اهتمام ماركس في تفسير المجتمع، إلا أنه لم يغفل أهمية الأفكار والقيم كجزء من البنية الفوقية، وعليه، فإن التركيز على العامل الاقتصادي لا يعني أنه العامل الوحيد في التفسير، ما يباعد الماركسية عن التفسيرات الميكانيكية البسيطة أو تمجيد الإنسان الاقتصادي فقط.
- مع أن ماركس لم يستخدم عبارة "علم الاجتماع"، فإن إسهاماته شكلت رصيدا مهما للباحثين في السوسيولوجيا والعلوم الإنسانية، لقد أثرت أفكاره بشدة على الباحثين بعد وفاته، وأسهمت في بروز تيارات تجديدية داخل الماركسية نفسها، مما يدل على أهمية إنتاجه الفكري سواء بشكل فردي أو بالتعاون مع إنجلز.

- لا يمكن استيعاب فكر ماركس إلا ضمن سياق النقد الفلسفي والاقتصادي الذي خاضه ضد مفكرين سبقوه أو عاصروه، مثل هيجل، فوير باخ، ديدرو، سيمون، برودون، وسميث وريكاردو، ما يكشف عن القيمة العلمية والعمق التحليلي لما أنجزه.[1]

5.إميل دوركايم:

أولا: السيرة الذاتية والبيئة الاجتماعية

ولد إميل دوركايم (1858–1917) في مدينة إبينال (Épinal) بمنطقة لورين الشرقية في فرنسا، من أسرة يهودية، حيث كان والده من الحاخامات، وقد رغب في أن يسلك الابن مسار الأسرة ويصبح رجل دين، وهو ما كان يوافق رغبة إميل نفسه في البداية، لذا درس العبرية واطلع على كتاب العهد القديم والتلمود الذي يحتوي على تعاليم الأحبار الربانيين والموسويين.

في الوقت نفسه، تلقى التعليم العلماني، والتحق بالنظام التعليمي الحكومي، وبدأ مساره المهني بالتدريس في المدارس الثانوية حتى عام 1887، ثم حصل على فرصة للسفر إلى ألمانيا في إجازة علمية، حيث تعرف على أفكار فاجنر وشمولر وفونت، وتأثر بها، مما انعكس على موقفه الفلسفي من الفكر والواقع، كما تأثر بدراسات سان سيمون الذي اعتبره مرجعًا في علم الاجتماع، بالإضافة إلى الاطلاع على أفكار ماركس، مما ساعده على صياغة تصوراته الأولى حول تقسيم العمل الاجتماعي.

تأثرت أفكار دوركايم بالمقولات الاجتماعية للاشتراكية، أحيانا مع مناهضتها أحيانا أخرى، إلا أن تصوراته كانت تؤكد على التضامن الاجتماعي بدلا من الصراع الاجتماعي، وقد اعتبره بعض الباحثين مؤسس علم الاجتماع الحديث، بينما رآه آخرون ممهدًا لنقل النظرية السوسيولوجية الغربية من وضعية كونت إلى مرحلة الوظيفية.

ب. علم الاجتماع عند إميل دوركايم

[1] نفس المرجع، ص ص 10، 11.

يرى دوركايم أن علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية والنظم الاجتماعية على أنها أشياء قائمة بذاتها، وليست مجرد تصورات ذاتية للأفراد، حيث أكد على أهمية ما أسماه" الفروع الخاصة "لعلم الاجتماع، مشجعا على ازدهار هذه الفروع وتوسعها لتصبح موضوعات مستقلة لدراسة مشكلات محددة.

وأشار دوركايم إلى أن علم الاجتماع لا يمكن أن يصبح علما حقيقيا إلا إذا تخلّى عن محاولة دراسة الواقع الاجتماعي برمته في آن واحد، واستبدل ذلك بتقسيم المجتمع إلى أجزاء وعناصر قابلة للبحث والتحليل، وقد عبّر عن هذا المنهج بشكل واضح في كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع"، حيث وضع المبادئ المنهجية لدراسة الظواهر الاجتماعية بشكل علمي موضوعي، بعيدا عن الانطباعات الفردية والأحكام المسبقة.

المنهج في علم الاجتماع عند دوركايم

يرى إميل دوركايم أن علم الاجتماع، شأنه شأن الكثير من العلوم الاجتماعية، يمتلك فروعا متعددة تعكس التنوع الموجود في الظواهر الاجتماعية، وبالرغم من أهمية هذه التقسيمات الفرعية، كان دوركايم يصف علم الاجتماع بأنه علم دراسة المجتمعات، أي دراسة الواقع الاجتماعي ككل قائم بذاته ومستقل عن التصورات الفردية.

اعتمد دوركايم أيضا على الفكر العضوي، إذ أقام مماثلة بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة البيولوجية، معتبرا الظاهرة الاجتماعية كيانا تلقائيا قائما قبل وجود الأفراد، أي أن الفرد ليس صانعا لهذه الظاهرة، بل هو جزء منها ويتأثر بها، وبناءا على ذلك، تمثل الأبعاد المنهجية لبحث دوركايم للظواهر الاجتماعية في:

1. **الاعتراف بالظاهرة الاجتماعية كشيء واقعي مستقل:** يمكن ملاحظته وقياسه، وليس مجرد انعكاس لأفكار الأفراد.
2. **تحليل الظواهر وفق علاقاتها بالمجتمع ككل:** لا بشكل جزئي أو فردي.

3. **استخدام المنهج المقارن:** وذلك لدراسة اختلاف المجتمعات أو أنماط التنظيم الاجتماعي، بهدف استخلاص القوانين العامة التي تحكم الحياة الاجتماعية.
4. **تطبيق النهج العلمي الموضوعي:** وهذا بعيدا عن الانطباعات الشخصية أو الأحكام القيمية، مع التركيز على القياس والتحقق من الظواهر الاجتماعية.[1]
5. كما أخذ دوركايم بالفكر العضوي الذي أقام مماثلة بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة البيولوجية ونظر للظاهرة الاجتماعية بأنها تلقائية، بمعنى أن الفرد ليس بصانعها لأنها موجودة قبل أن يوجد الأفراد وتتلخص الأبعاد المنهجية لبحثه للظاهرات الاجتماعية في ضرورة دراسة هذه الظاهرة كأشياء، وتحرر الباحث من كل فكرة يعرفها عن الظاهرة موضوع دراسته، وأما عن أساليبه البحثية فتتمثل في الملاحظة والمقارنة، وتتبع تطور الظاهرة وتفسيرها تفسيرا وظيفيا من خلال إنجازاتها وأدوارها في السياق البنائي الكلي.
6. وقد تناول الانتحار(باعتباره ظاهرة فردية ترجع إلى الفروق الفردية للأفراد وهي ليست فروقا سيكلوجية وإنما ترجع إلى بعض الخصائص الاجتماعية لكل فرد من الأفراد حسب الظروف التي يعيش فيها في الأسرة والمهنة وما إلى ذلك، والتي تنعكس على وعيه الفردي وتحدده وبالتالي يؤثر هذا الوعي في سلوكه وفي قيمه وفي مواقفه بل وفي واقعه، وبإيجاز يؤثر الوعي في واقع الناس وتصرفاتهما ما موضوع علم الاجتماع عند "إميل دور كايم":

ثانيا: المورفولوجيا الاجتماعية (تدرس البناء الاجتماعي).

الفسيولوجيا الاجتماعية تدرس الوظائف التي يؤديها البناء الاجتماعي، و"دوركايم أثرى هذا الحقل بما قدمه من مؤلفات ذات علاقة وثيقة بعلم اجتماع التربية ومن بينها التربية والمجتمع، التطور التربوي في فرنسا، التربية الأخلاقية، وفي كتاب التطور التربوي أو تطور المنهج في

[1] دبراسو فطيمة ونجن سميرة، سوسيولوجيا المنهج عند دوركايم، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص ص 83، 84.

فرنسا تحديدا اهتم بتحليل العلاقة بين المدرسة، المجتمع، المقررات التلاميذ واستخدم المنهج التحليلي المقارن في تناوله لتاريخ التعليم في فرنسا أيضا درس الأنماط والمناهج المقررة في ألمانيا في نفس الفترة، كما ناقش طبيعة العلاقة بين الدولة والتربية والنظام التعليمي، والسيطرة شبه الكاملة للدولة على المدارس بما فيها نوعية المناهج المقررة، كما حرص دوركايم " على توضيح العلاقة بين دور الدولة والمؤسسات التربوية المدرسة والأسرة (خصوصا بعد التغيرات الاجتماعية).

وتقلص الأدوار الوظيفية للأسرة وتقسيم العمل والمدرسة كوكيل للتنشئة الاجتماعية، وأهمية تحديد الدولة للمناهج الدراسية [1]

إسهامات إميل دوركايم في سوسيولوجيا المنهج

على الرغم من ندرة الدراسات المباشرة في مجال سوسيولوجيا المنهج لدى علماء الاجتماع الأوائل، إلا أن إسهامات إميل دوركايم في هذا المجال تعد نموذجية وبارزة، خاصة في مؤلفاته :تطور المنهج في فرنسا (L'évolution pédagogique en France)والتعليم الأخلاقي (Moral Education)، حيث ركز على التضامن الاجتماعي (social solidarity) من خلال الدور التربوي للنظام التعليمي.

وقد أبرز دوركايم أهمية التعليم الرسمي والمدارس كآلية للتنشئة الاجتماعية، حيث تسهم المناهج الدراسية في توجيه التلاميذ نحو القيم والعادات والتقاليد والأخلاق، وهو ما يعكس محاولة المدرسة لتشكيل شخصية الفرد بما يتوافق مع متطلبات المجتمع الحديث، خصوصا بعد تقلص دور الأسرة نتيجة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والمهنية، مثل زيادة التخصص وتقسيم العمل.

[1] نفس المرجع، ص85.

واتسم منهج دوركايم في دراسة التعليم بالتحليل المقارن ,(comparative analysis) حيث تناول تاريخ التعليم الفرنسي ونوعية المقررات الدراسية، مع التركيز على كيفية تأثيرها في التنشئة الاجتماعية والقيم الأخلاقية والثقافية، كما أولى اهتماما خاصا بـ الأطفال وطموحاتهم الفردية، مؤكدا أن المناهج التعليمية تهدف إلى توجيه هذه المطالب الفردية بحيث تتوافق مع مصالح المجتمع بصورة إيجابية.

ورغم ذلك، انتقد دوركايم السياسات الحكومية الفرنسية التي تميل إلى التركيز على المناهج التقليدية (traditional curriculum)وإهمال التطورات الحديثة في أساليب التدريس والعلوم التربوية (teaching science)، واهتم بتحليل مدى تأثير مناهج المواد الدراسية على التعليم الأخلاقي والثقافي، وتنمية المهارات الفردية، واكتساب القيم الاجتماعية والدينية، مؤكّدا أن المدرسة، وليس فقط الأسرة، هي الوسيلة الأساسية لتحقيق هذه الأهداف.

كما ركز على تحويل المدارس من مؤسسات دينية تقليدية إلى مدارس علمانية، مع التأكيد على الدور المركزي للمعلمين في تحقيق المسؤوليات الوظيفية والأخلاقية، وإعداد الطلاب للاندماج في المجتمع الحديث بشكل فعّال ومثمر.

ثالثاً: التطورات النظرية في سوسيولوجيا المنهج عند إميل دوركايم: المناهج وتوجيه التلاميذ

كان دوركايم يرى أن التعليم في فرنسا يجب أن يركز على دراسة الشخصيات التاريخية البارزة وأبطال التاريخ الفرنسي، بهدف غرس قيم محددة لدى التلاميذ، من أبرزها:

1. الولاء للمجتمع والوطن.
2. التضحية من أجل المصلحة العامة.
3. الانتماء والاعتزاز بالهوية الوطنية.

وقد اعتبر دوركايم أن هذه الأهداف لا تتحقق إلا من خلال تخطيط علمي للمنهج الدراسي، يضمن انسجام التربية مع أهداف المجتمع وتوجيه الناشئة نحو التضامن الاجتماعي الذي يمثل

حجر الزاوية في تحقيق الاستقرار الاجتماعي، ومن خلال متابعة إسهامات دوركايم في مجال سوسيولوجيا المنهج، يتضح اهتمامه العميق بترابط التربية، المناهج، والمجتمع لضمان عملية تنشئة اجتماعية متكاملة.

رابعا: الانتقادات الموجهة لفكر دوركايم

مع ذلك، لا يخفى على قراء أعمال دوركايم وقوعه في تناقضات وإشكالات نظرية، فعلى الرغم من مطالبته بدراسة الظاهرات الاجتماعية كأشياء قائمة بذاتها، فقد تجاهل في كثير من الأحيان الجوانب المادية والاقتصادية المؤثرة في المجتمع، كما أنه، بينما دعا إلى استبعاد التفسيرات البيولوجية والنفسية من الحقل السوسيولوجي، كثيرا ما عقد مماثلات بيولوجية بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الحيوية، ما يوضح نوعا من الازدواجية النظرية في مقارباته.

إذا دققنا في نسيج فكر دوركايم، نجد أنه ترك العديد من التساؤلات بلا إجابة، مما أثر على استجابته العامة للمسألة السوسيولوجية برمتها، فعندما أشار إلى أسبقية المجتمع على الفرد، كان يقصد الحالة الوجودية الراهنة، لكنه لم يوضح كيفية نشوء المجتمع أو الأسباب التي دفعت الأفراد إلى الاجتماع وتنظيم حياتهم الاجتماعية.

أما منهجه البراغماتي، الذي اقتصر على دراسة ما يراه مفيدا، فقد جعله مرتبطا بمصالح الطبقة الوسطى وما يفيدها، متجاهلا بذلك كثيرا من مظاهر التغيير الاجتماعي، الثورة، والصراع الطبقي، وفي هذا السياق، يرى ريمون آرون أن كتابات دوركايم لا تقربنا بالضرورة من حل المشكلات الجماعية، لأنها أغفلت العديد من الأبعاد والمشاكل المجتمعية.

من جهة أخرى، يشير كل من C. Vaughan، Clifford Scottford، M. Scotford، و Northonإلى أن دوركايم سعى إلى دراسة الظاهرات الاجتماعية بطريقة وضعية، بالتركيز على أبعادها الخارجية القابلة للملاحظة، إلا أنه في مسلكه هذا وقع في نوع من المثالية، إذ

علق كل شيء تقريبًا على التصورات الجمعية، والمشاعر، والقيم المشتركة، متجاهلا البعد المادي والاقتصادي والاجتماعي للصراعات الواقعية.[1].

[1] نفس المرجع، ص88.

المحور الخامس : المداخل الكبرى في علم الاجتماع

1. المدخل الوضعي:

1-النظرية البـنـيـويـة

تأسست البنيوية في نهاية القرن 19 واستمرت بالنمو والتطور حتى بعد منتصف القرن 20 وأعتمد تأسيسها على أهم رواد الوضعية الذين وضعوا بصمتهم فيها، في كل فترة معينة عاشوا فيها، انطلقت الوضعية مع أوغست (1798/1858) : منتصف القرن التاسع عشر، في كتابه الفلسفة الوضعية، ثم مع مارسيل ماووس (1872/1950): في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين: كتاب الهدية.

وفي كتاب البنى الأولية للقرابة يؤسس كلود ليفي ستراوس (1908/1986) للوضعية في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين.

يؤكد البنيويون على دراسة البنى والأنساق الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعي: كالبناء الأسري، الديني، التربوي، الاقتصادي، الثقافي.

كما تدرس البنيوية طبيعة البناء، وعلاقة هذه الأبنية ببعضها البعض في المجتمع، وكيف يتغير النسق/ الانساق من كل لآخر، والعوامل المؤدية إلى تغير النسق.[1]

2-النظرية الوظيفية:

تتبني المقاربة الوظيفية على تشبيه المجتمع بالكائن العضوي الحي، بمعنى أن المجتمع يتكون من مجموعة من العناصر والبنيات والأنظمة ويؤدي كل عنصر من هذه العناصر وظيفة ما داخل هذا الجهاز المجتمعي، وبهذا يترابط كل عنصر في النسق بوظيفة ما، ومن

---

[1] عبد الرحمان فريجة، **محاضرات في مقياس مدخل في علم الاجتماع، المحاضرة الخامسة، مطبوعة موجهة لطلبة التعليم السنة الاولى ليسانس تخصص علوم سياسية**، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم الساسية، جامعة ام البواقي – ام البواقي-، 2025/2024، ص02.

ثم فالمجتمع نظام متكامل ومترابط ومتماسك، يهدف إلى تحقيق التوازن والحفاظ على المكتسبات المجتمعية، ومن ثم يقوم الدين والتربية – مثلا – بالحفاظ على توازن المجتمع.

وخير من يمثل هذه المقاربة الفرنسي إميل دوركايم، والأمريكيان تلكوت بارسونز Talcott Parsons وروبرت ميرتونMerton ، على سبيل التمثيل، وقد كان لهذه النظرية إشعاع كبير في سنوات الخمسين من القرن الماضي.

ويعني هذا أن النظرية الوظيفية تعتبر " المجتمع نظاما معقدا تعمل شتى أجزاؤه سويا لتحقيق الاستقرار والتضامن بين مكوناته، ووفقا لهذه المقاربة، فإن على علم الاجتماع استقصاء علاقة مكونات المجتمع بعضها ببعض وصلتها بالمجتمع برمته، ويمكننا على هذا الأساس أن نحلل، على سبيل المثال، المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية بإظهار صلتها بغيرها من مؤسسات المجتمع؛ لأن أجزاء المجتمع المختلفة تنمو بصورة متقاربة بعضها مع بعض.

ولدراسة الوظيفة التي تؤديها إحدى الممارسات أو المؤسسات الاجتماعية، فإن علينا أن نحلل ما تقدمه المساهمة أو الممارسة لضمان ديمومة المجتمع، وطالما استخدم الوظيفيون، ومنهم كونت ودركايم مبدأ المشابهة العضوية للمقارنة بين عمل المجتمع بما يناظره في الكائنات العضوية، ويرى هؤلاء أن أجزاء المجتمع وأطرافه تعمل سويا، وبصورة متناسقة، كما تعمل أعضاء الجسم البشري، لما فيه نفع المجتمع بمجمله[1]، وليتسنى لنا دراسة أحد أعضاء الجسم، كالقلب على سبيل المثال، فإن علينا أن نبين كيفية ارتباطه بأعضاء الجسم الأخرى ووظائفه، وعند ضخ الدم في سائر أجزاء الجسم يؤدي القلب دورا حيويا في استمرار الحياة في الكائن الحي، وبالمثل فإن تحليل الوظائف التي يقوم بها أحد تكوينات المجتمع يتطلب منا أن نبين الدور الذي تلعبه في استمرار وجود المجتمع، ودوام عافيته.

ومن هنا، تنبني النظرية الوظيفية على مجموعة من المبادئ والمفاهيم الأساسية، مثل: العنصر، والوظيفة والنسق والعلاقات المختلفة والبناء الاجتماعي، والمشابهة العضوية، والدور،

[1] جميل حمداوي، **نظريات علم الاجتماع**، ط1، د.ن، 2015، ص50

والمكانة الاجتماعية والمتطلبات الوظيفية والبدائل الوظيفية، والمعوقات الوظيفية، والوظائف الظاهرة، والوظائف الكامنة، والجزء في خدمة الكل، والتضامن العضوي، والمحافظة والاستقرار والنظام والتوازن والأدوار الحيوية والاتساق والانسجام، والتماسك الاجتماعي مقابل مبدا التجزئة والصراع.[1]

2- النظرية البنائية الوظيفية :

البنائية الوظيفية تمثل النظرية البنائية لوظيفية رؤية سوسيولوجية تنتمي الى الفكر الوضعي فالنزعة الوضعية منذ بداية القرن التاسع عشر معارضة للميتفيزيقيا التقليدية، وتؤيد العلم والمنطق التجريبي، وهذا كان يقتضي إلزامية الوصول الى القوانين التي تخضع لها الوقائع والظواهر الاجتماعية لذلك لجأ البنائيين الوظيفيين الى تطعيم أفكارهم من العلم الطبيعي؛ خاصة علم الأحياء وأهميته في دراسة المجتمع، فعلم الأحياء يدرس تراكيب ووظائف الكائن الحي، وبذلك تجاوزوا القصور والإخفاق الذي لحق بالنظريتين البنائية والوظيفية.

تستند البنائية الوظيفية الى مفهومي البناء Structure والوظيفة Function في تفكيكها لبنية المجتمع والوظائف التي يقوم بها، وفي تحليلها للظواهر الاجتماعية وترابط الوظائف المتولدة عن ذلك؛ حيث يشير المفهوم الأول الى الجزء أو العنصر الذي يتكون منه أي نظام أو وحدة أو بناء اجتماعي، أما الوظيفية فيشير بها الى الدور والإسهام الذي يقدمه كل جزء ضمن البناء الكلي.

بما أن الظاهرة الاجتماعية حسب رواد هذه النظرية هي نتاج الأجزاء البنيوية التي تظهر في وسطها ولها وظيفة اجتماعية مرتبطة بدورها بوظائف الظواهر الأخرى الناتجة عن بقية الأجزاء المكونة للبناء الاجتماعي، فإنه يستحيل فصل الوظائف عن البنى أو العكس فالمجتمع

[1] جميل حمداوي، المرجع السابق، ص50.51

بناء ووظيفة وأن هناك تكاملا بين الجانب البنيوي للمجتمع والجانب الوظيفي إذ أن البناء يكمل الوظيفة والوظيفة تكمل البناء.[1]

نظرية الفعل الاجتماعي :

يرى بارسونز أن الفعل الاجتماعي ما هو إلا نسق معقد من السلوك، يمكن تقسيمه إلى أجزاء مختلفة يمكن تحليلها ودراستها في علاقاتها المتبادلة، ويحتوى كل نسق من السلوك على الفاعل » والرموز والقيم التي توجهه، ودراسة أى نسق من السلوك توضح لنا كيف يعمل أو يفعل أو يؤدى وظيفته وهو يرى أن كل فعل اجتماعي، يشتمل على ثلاثة عوامل هي : 1- الفاعل، 2- الموقف، 3- موجهات الفاعل نحو الفعل.[2]

وتنقسم موجهات الفاعل الى الدافع او القيمة ويمكن توضيح ذلك في الرسم:

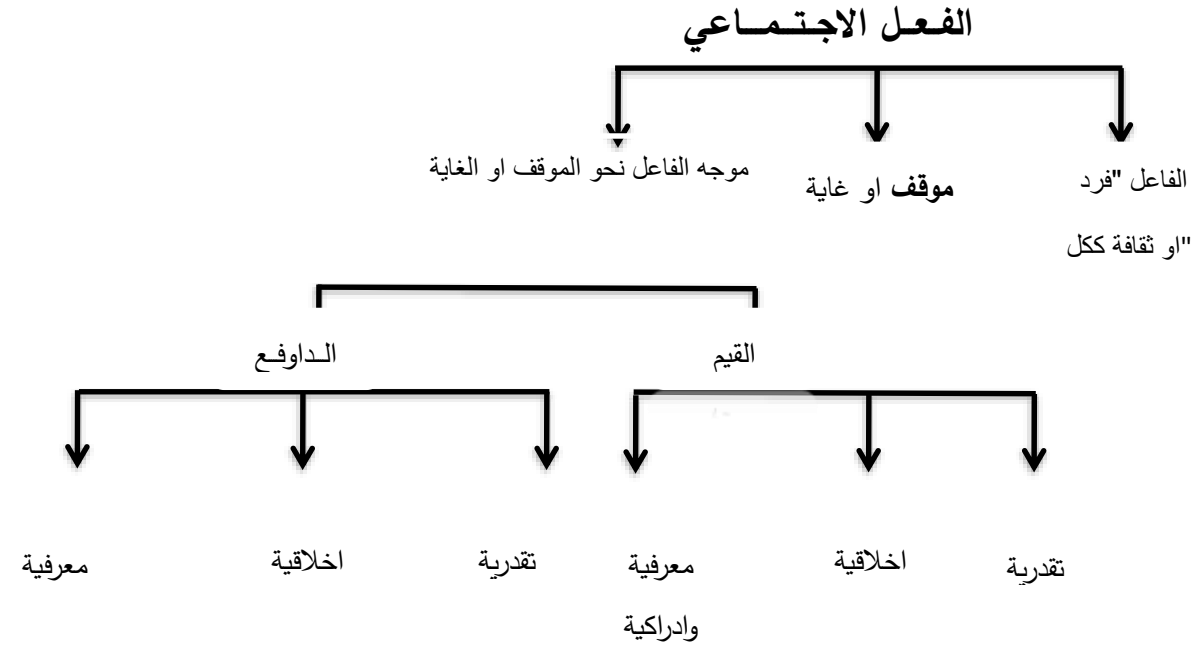

[1] غربي محمد وقلواز ابراهيم، **النظرية البنائية الوظيفية:نحو رؤية جديدة لتفسير الظاهرة الاجتماعية**، مجلة **التمكين الاجتماعي**، العدد الثالث، المجلد الاول، سبتمبر، 2019، ص167

[2] محمد عبد المعبود مرسى، **علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي –دراسة تحليلة ونقدية–**، الطبعة الاولى، (القيصم، السعودية: مكتبة العليقي الحديثة.ب.س.ن.، ص07)

وعلى ذلك فإن بارسونز كون ثلاثة أنساق تحليلية هي : نسق الشخصية، والنسق الاجتماعي والنسق الثقافي

فأما نسق الشخصية فيشير إلى المراكز الاجتماعية للفاعلين وأدوارهم في الموقف، ويشير المركز الاجتماعى إلى مكان الفاعل فى نسق العلاقات الاجتماعية التي تعتبر كبناء، ويشير الدور إلى سلوك الفاعل في علاقاته هذا الآخرين، ويعتبر هذا السلوك هاما من الناحية الوظيفية للنسق الاجتماعى ويمكن تحديد الأدوار الاجتماعي الشخص ما فى ضوء أنماط التوقعات المحددة ثقافيا، ومن جملة الأدوار المترابطة يتكون النظام الاجتماعي Social System .

وتعتبر النظم الاجتماعية عنده هي بؤرة اهتمام علم الاجتماع، لأن أهم وظيفة للنظم الاجتماعية هي ضمان الاستقرار، وتماسك المجتمع، والحفاظ على قيمه ومعاييره

وأما النسق الاجتماعي فيتضمن عنده عدة معانى، فنجده يعرفه على أنه عدد من الأفراد الفاعلين والمتفاعلين مع بعضهم، وقد يكون النسق نسيج من العلاقات بين الأفراد، وقد يكون الدوافع التي توجه عدد من الأفراد الفاعلين، وبصورة عامة فإن فهم النسق الاجتماعي يتطلب فهم الموجه الدافعي للأفراد .

وأخيرا فإن النسق الثقافي عند بارسونز واضح، فهو يرى أن الثقافة، هي نتاج أو ثمرة من ناحية، كما أنها تحدد أنساق التفاعل الاجتماعي الإنساني من ناحية أخرى، ويتكون النسق الثقافي من ثلاثة أنساق فرعية هي : الأفكار – الرموز –الموجهات القيمية.[1]

[1] محمد عبد المعبود مرسي، **المرجع السابق**، ص ص 7.8

2. المدخل الماركسي

كارل ماركس

حاول كارل ماركس تقديم نظرية اجتماعية متكاملة لفهم البناء الاجتماعي والتغير الاجتماعي، من خلال تطوير فكرة الاشتراكية والتخلص من الأفكار الطوباوية والفلسفية التقليدية، وقد اعتمد في ذلك على المنهج الجدلي لتحليل التطور التاريخي للمجتمعات، مع التركيز على صراع الطبقات باعتباره المحرك الأساسي للتغيير الاجتماعي.

يعتبر المدخل الماركسي من المداخل الكلاسيكية التي تطورت لاحقا إلى الماركسية الحديثة أو النيو–ماركسية، ويعتمد على دراسة علاقات التضاد والصراع والطبقية، بالإضافة إلى تحليل نظم اللامساواة، الاستغلال، والاغتراب، ضمن الإطار الجدلي الذي يربط بين الملكية والسلطة والمصالح الاجتماعية في علاقات الإنتاج.

وتشير علاقات الإنتاج في الفكر الماركسي إلى مجموعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي تنشأ في سياق عملية الإنتاج الاجتماعي، مرورا بحركة المنتوج الاجتماعي من الإنتاج إلى الاستهلاك، ولا يمكن للناس إنتاج احتياجاتهم إلا ضمن نظام محدد من علاقات الإنتاج، التي تمثل شكلا من أشكال ملكية وسائل الإنتاج، فإذا كانت وسائل الإنتاج ملكية عامة للمجتمع، فإن العلاقات داخل المجتمع تتسم بالمساواة، أما إذا كانت وسائل الإنتاج في يد فئة أو طبقة معينة، فإن الملكية تتحول إلى علاقات استغلال وسيطرة، مما يؤدي إلى تكريس التفاوت الطبقي والصراع الاجتماعي.[1]

يحدد المنظور الماركسي النضال المستمر في علاقات الإنتاج باعتباره صراعا جوهريا بين طبقتين رئيسيتين :الطبقة الكادحة البروليتاريا (والطبقة المسيطرة المالكة) البورجوازية، ويبرز

[1] بن حمزة حورية، **محاضرات في مقياس مدخل الى علم الاجتماع موجهة لطلبة سنة اولى علوم اجتماعية ل م د** - ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف-، 2020/2019، ص51

هذا الصراع أهمية الوعي الطبقي والنضال العمالي من خلال حركات ثورية تهدف إلى التغيير الجذري للنظام الرأسمالي وبناء الدولة الشيوعية

ويعتمد التحليل الماركسي للظواهر الاجتماعية على منطق الصراع الوظيفي، الذي يسعى إلى إعادة تشكيل البنى الاجتماعية نحو العدالة والمساواة، وإلغاء كل أشكال الاستغلال والطبقية، عبر إشراك جميع أفراد المجتمع في ملكية وسائل الإنتاج سواء من خلال الملكية العمومية أو ملكية الدولة، وصولا إلى الشيوعية كمرحلة نهائية للصراع الاجتماعي.

كما ارتبط المنظور الماركسي بالتاريخ بشكل نقدي، حيث أتاح التحليل فهم التطورات الاجتماعية والاقتصادية ضمن سياق تاريخي محدد، وقد ترافق ذلك مع نقد منهجي ونظري واسع للفكر الاقتصادي السائد آنذاك، المتمثل في النظرية الليبرالية أو النظرية الكلاسيكية، بالإضافة إلى نقد أسس الفكر السيكولوجي الذي بدأ ينتشر في تلك المرحلة[1].

ا يمكن إغفال النظرية الماركسية المحدثة، التي يعتبر من أبرز روادها كل من رالف داهرندورف (Ralf Dahrendorf) ولويس كوزر وغيرهم.

تؤكد هذه النظرية على أهمية البنى الاجتماعية في تنظيم المجتمع، وفي الوقت نفسه تسلط الضوء على الصراع والاختلافات الداخلية، سواء حول المصالح، السلطة، أو الثروة، كما ترى أن كل مجتمع يتألف من فئات اجتماعية مختلفة، تسعى كل منها إلى تحقيق مصالحها الخاصة، ويترتب على ذلك احتمال وقوع صراع بين الفئات نتيجة سيطرة فئة معينة على الموارد والمصالح على حساب الفئات الأخرى الأكثر ضعفا، وهو ما أكده داهرندورف في كتابه الطبقة والصراع الطبقي في المجتمع الصناعي.[2]

---

[1] بن حمزة حورية، **المرجع السابق**، ص51

[2] سنوسي فضيلة، **محاضرات في مقياس مدارس ومناهج، مطبوعة موجهة لطلبة التعليم الأساسي العلوم الانسانية – سنة أولى-** ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة-، 2020/2019، ص6

يشير داهر ندورف إلى أن في المجتمعات الحديثة، تضعف قوة رأس المال والعمل التقليديين نتيجة ظهور فئات اجتماعية جديدة وطبقة متوسطة تعتمد على مصادر قوة حديثة تتجاوز المجال الاقتصادي التقليدي، مثل الإعلام، الاتصال، المعلومات، والخدمات، ويرى أن الصراع والسلطة عنصران أساسيان في كل التنظيمات الاجتماعية، إذ إن أي تنظيم اجتماعي يتكون من فئتين:

من يمتلكون السلطة.

من لا يمتلكونها.

وعندما تدرك كل مجموعة من هاتين المجموعتين مصالحها الخاصة، فإنها تتحول إلى جماعات مصلحة أو طبقات، مما يزيد من احتمالات الصراع الاجتماعي بين هذه الجماعات المتعارضة المصالح.

أما كولتر فيرى في نظريته أن كل مجتمع يسعى فيه الأفراد للحصول على الثروة، القوة، والهيمنة، ولكل فرد أو جماعة مصالح يسعى لتحقيقها، وبذلك يحدث الصراع الاجتماعي نتيجة عدم التوزيع العادل لهذه الموارد والسلع، سواء كانت مادية أو رمزية[1] .

[1] سنوسي فضيلة، **المرجع السابق** –ص7.

المحور السادس: مجالات علم الاجتماع

1. الطب:

يشترك علم الطب وعلم الاجتماع في كونهما يدرسان قضايا الإنسان داخل المجتمع، إذ يسعى كل منهما إلى توظيف نظرياته ومناهجه وأدواته البحثية الخاصة لفهم المشكلات المرتبطة بمجال اهتمامه، ويعدّ إلمام الطبيب بالمفاهيم والمنهجيات السوسيولوجية ضرورة ملحّة، لما توفره من أدوات تحليلية لفهم الظواهر الاجتماعية المؤثرة في الصحة والسلوك الإنساني، وقد أدركت العديد من الدول هذه الأهمية منذ عقود، فأدرجت مقررات علم الاجتماع ضمن مناهج كليات الطب، وهو ما يطبق أيضا في كثير من الجامعات بالدول العربية والنامية، ونتيجة لذلك برز فرع علم الاجتماع الطبي (Medical Sociology) كأحد أبرز التخصصات التي تجمع بين مقاربات الطب وعلم الاجتماع، وتتيح مساحة لتكامل الأفكار والرؤى بين العلماء في المجالين[1]

تطوّر علم الاجتماع الطبي ليشمل فروعا متخصصة، من أبرزها سوسيولوجيا المستشفى (Sociology of Hospitals)، وهو المجال الذي يركّز على دراسة الأمراض المتوطنة وغير المتوطنة، وإدارة المستشفيات، وطرائق رعاية المرضى، إضافة إلى تحليل كفاءة الفئات العاملة في المؤسسة الصحية مثل الأطباء وهيئة التمريض والمهن المساندة الأخرى، ويعتمد الأطباء في تشخيص الحالات على جملة من المتغيرات السوسيولوجية، من بينها التاريخ المرضي للفرد وأسرته، والوضع الطبقي، والمهنة، والدخل، ومستوى التعليم، والبيئة الأسرية والثقافية، باعتبارها عناصر مؤثرة في مسار العلاج.

وعند دراسة أنماط توطن الأمراض في المجتمعات وسبل الحدّ من انتشارها، يستعين الأطباء بخبرات علماء الاجتماع، وقد أكّد عدد من المتخصصين في هذا المجال، مثل فريدسون

[1] عبد الله محمد عبد الرحمن، **علم الاجتماع النشأة والتطور**، دار المعرفة الجامعية، جامعة بيروت العربية، 1999، ص79.

(Friedson)وجلاسر (Glasser) ، فضلا عن إسهامات دوركايم في دراسته للانتحار، على أهمية توظيف المداخل السوسيولوجية لفهم طبيعة الأمراض وأسباب تفاقمها أو الحد من آثارها، وقد تجلّت هذه الأهمية بصورة خاصة في دراسة أمراض معقدة مثل الإيدز، والسرطان، والكوليرا، والتيفود، والبلهارسيا، وكذلك الأمراض المتوطنة في مناطق محددة مثل أنيميا البحر المتوسط وفقر الدم، ومن هنا فإن فهم الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والشخصية للمرضى يعتبر شرط أساسي لتوفير العلاج المناسب.

علاوة على ذلك، تلعب العلاقة بين الطبيب والمريض (Doctor–Patient Relationship)دورا محوريا في نجاح العملية العلاجية، حيث تتيح للطبيب التعرف على استجابات المريض للعلاج واستعداده للخضوع للإجراءات الطبية أو العمليات الجراحية، كما تساعد هذه العلاقة في فهم مواقف المرضى ودرجة تقبلهم للعلاج، إذ قد يرفض بعضهم — خصوصا من ذوي الثقافة المحدودة — الامتثال لتعليمات الأطباء أو تلقي العلاج، الأمر الذي يبرز أهمية البعد السوسيولوجي في الممارسة الطبية.

يتضح أن إقبال المرضى على طبيب دون آخر لا يرتبط فقط بجودة التشخيص أو الخبرة الطبية، بل يتأثر أيضًا بالأسلوب الاجتماعي الذي يعتمده الطبيب في تعامله مع مرضاه، ومن هنا برزت الحاجة إلى دمج المداخل السوسيولوجية في الممارسة الطبية، وهو ما شددت عليه كليات الطب والمنظمات الدولية مثل منظمة الصحة العالمية(WHO) ، التي أكدت على ضرورة دراسة العوامل الاجتماعية لفهم أسباب انتشار الأمراض في مناطق معينة، وتفسير الأبعاد المرتبطة بها، مثل القيم الأخلاقية والدينية والظروف البيئية المحلية، فالأمراض ذات الطابع الاجتماعي، كالإيدز، لا يمكن تحليلها بشكل كامل من دون الاستعانة بالخبرة السوسيولوجية، وهو ما يجعل التعاون بين الأطباء وعلماء الاجتماع أمرا جوهريا.

2.الهندسة:

أما في مجال الهندسة، فقد أظهرت الدراسات أن تخصصاتها المختلفة — كالعمارة، وتخطيط المدن، والإنشاءات، والإنتاج الميكانيكي — ترتبط ارتباطا وثيقا بالاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فالمشروعات الهندسية الكبرى، سواء كانت مناطق صناعية أو سكنية أو مشروعات موجهة لفئات اجتماعية محددة (كالطبقات الوسطى أو محدودي الدخل)، لا يمكن أن تخطط أو تنفذ بمعزل عن السياق الاجتماعي، كما أن تسويق الإنتاج الهندسي وتصميم الآلات يرتبطان بوجود جماعات بشرية تستفيد منها، ولهذا أصبح علم الاجتماع أحد الركائز التي لا غنى عنها في التعليم الهندسي، عالميا وعربيا على السواء، وقد تجسد ذلك في لجوء طلاب العمارة وتخطيط المدن إلى إجراء دراسات اجتماعية معمقة حول طبيعة المجتمع المحلي قبل الشروع في تنفيذ مشروعاتهم، بما يسمح لهم بفهم أنماط الحياة، وبنية الأسر، والمستوى الاقتصادي والثقافي للسكان، ومن ثم ملاءمة هذه المشروعات لاحتياجات المجتمع..[1]

إن دراسة تاريخ العمارة والهندسة في المجتمعات الحديثة لا يمكن أن تنفصل عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والطبقية والقانونية التي شكّلت طبيعة أنماط البناء والإنشاء عبر العصور، ولهذا ارتبطت فنون العمارة ببيئاتها الحضارية والدينية، فنجد العمارة الفرعونية، والإسلامية، والمسيحية، كما نجد العمارة ذات الطابع البريطاني أو الإيطالي وغيرهما، ومن هذا المنطلق فإن تنفيذ أي مشروع هندسي — مهما كان حجمه، سواء جسرا صغيرًا لعبور المشاة أو مشروعا ضخما في هندسة المرور — يتطلب دراسة دقيقة لاحتياجات السكان المحليين والمستفيدين المحتملين، ويعرف هذا بالإجراءات الخاصة بـ دراسات الجدوى (Feasibility Studies)، التي لا تقتصر على الجوانب التقنية والاقتصادية، بل تشمل أيضا الأبعاد الاجتماعية، فتصميم مبانٍ كالمستشفيات أو المدارس أو المصانع أو الإدارات الحكومية

[1] نفس المرجع، ص ص 80، 81.

يجب أن يراعي طبيعة الفئات الاجتماعية المستفيدة منها، الأمر الذي يبرز دور المناهج السوسيولوجية في تعزيز جدوى هذه المشروعات قبل التنفيذ وبعده.

3.الفيزياء :

أما فيما يتعلق بعلم الطبيعة (الفيزياء)، فقد ارتبط بعلم الاجتماع منذ نشأته، وهو ما يفسر لجوء أوغست كونت إلى استخدام مصطلح "الفيزياء الاجتماعية" عند تأسيس علم الاجتماع، باعتباره علما يعنى بدراسة الظواهر والظروف المرتبطة بوجود الإنسان في المجتمع، كما تهتم العلوم الفيزيائية بدراسة البيئة الطبيعية والكون، والتعرّف على الكائنات الحية التي تعيش ضمنها، بما في ذلك الإنسان ذاته، في إطار العلاقة المتبادلة بين البيئة الطبيعية والأنشطة الاجتماعية البشرية، ولاسيما أن هدف علوم الطبيعة المختلفة محاولتها لاعداد الطبيعة أو خضوعها والسيطرة عليها من قبل الانسان للمساهمة في وجوده وتكيفه ورفاهيته في نفس الوقت. [1]

لقد أسهم التداخل بين علم الطبيعة والعلوم الاجتماعية، وعلى رأسها علم الاجتماع، في بروز تخصصات مشتركة مثل علم الإيكولوجيا(Ecology) ، الذي يدرس البيئة الطبيعية والاجتماعية في آن واحد، وقد ساهمت الجغرافيا والعلوم الاجتماعية الأخرى في إثراء هذا المجال، من خلال دراسة توزيع السكان وكثافتهم، وأنماط إقامتهم في الريف أو المدن، وهي ظواهر تخضع لعوامل بيئية وإيكولوجية متعددة، كما أن قضايا مثل الهجرة، وعوامل الطرد والجذب السكاني، والتوازن البيئي، لا يمكن تفسيرها إلا من خلال دمج المناهج الاجتماعية والإيكولوجية والطبيعية معا.

وفي حين يركز علم الطبيعة على عناصر البيئة المكانية والكونية، يهتم علم الاجتماع بدراسة البيئة الاجتماعية والثقافية التي يعيش في إطارها الإنسان، ومن هنا برزت أهمية تحليل

[1] نفس المرجع، ص82.

أثر العوامل البيئية في أنماط الشخصية والسلوك والتفكير، كما فعل بعض رواد علم الاجتماع الأوائل عند بحثهم في تأثير التضاريس والحرارة والبرودة على الأنشطة الاقتصادية أو الإنتاجية، وتوسّع الاهتمام لاحقا ليشمل دراسة انعكاسات البيئة المكانية على مستويات الجريمة والانحراف والبطالة والمعيشة، خصوصا في المناطق العشوائية أو المتخلفة (Slums Areas) ، وهكذا يتضح أن العلاقة بين علم الطبيعة وعلم الاجتماع تهدف إلى تهيئة البيئة الطبيعية والاجتماعية بما يخدم الإنسان ويضمن تكيفه مع محيطه، في إطار توجه متزايد نحو تبني مداخل علمية متعددة التخصصات.

4.علم الأحياء (البيولوجيا):

أما علم الأحياء (البيولوجيا)، فقد مثّل أحد فروع العلوم الطبيعية التي أثارت اهتمام علماء الاجتماع في مقاربتهم لمشكلات المجتمع، فقد استند عدد من الرواد، مثل كونت وسبنسر ودوركايم، إلى مفاهيم بيولوجية في تحليلاتهم السوسيولوجية، ويذكر أن سبنسر وضع نظرية "المماثلة البيولوجية"، محاولا توضيح أوجه التشابه بين المجتمع والكائن العضوي من حيث الوظائف والمهام والاختلالات، كما تأثرت نظريات سوسيولوجية أخرى بأفكار داروين حول أصل الأنواع ومبدأ "البقاء للأصلح"، ما أفرز اتجاهات مثل نظريات النشوء والتطور الاجتماعي (Social Evolutions) المرتبطة بمفاهيم الجنس والنوع والسلالة. وقد أعادت المداخل العضوية الحديثة، وما عرف بـ الداروينية المحدثة، إحياء هذه الرؤى في معالجة قضايا اقتصادية وتكنولوجية وديموغرافية ودينية، كما ظهر في كتابات سمول (Small)وسمنر (Sumner) وفيبلن(Veblen) ، وتدل هذه الإسهامات على أن العلاقة بين البيولوجيا والسوسيولوجيا لا تزال تمثل أرضية خصبة للتفسير والتحليل في دراسة المجتمع وتطوره..[1]

[1] نفس المرجع، ص ص 83، 84.

5. فروع علم الاجتماع:

- **علم الاجتماع البدوي:**

يهتم هذا الفرع بدراسة النظم الاجتماعية في المجتمعات البدوية، التي تعتمد أساسا على الرعي والترحال، ويعدّ ابن خلدون أول من تناول هذا المجال بصورة منهجية في مقدمته، حيث تحدث عن "العمران البدوي والأمم الوحشية"، واصفا حياة البدو بما تتسم به من خشونة وبساطة واقتصار على الضروريات، وعجز عن تحصيل الكماليات أو مظاهر الترف، وقد أشار إلى أن أهل البدو، رغم إقبالهم على الدنيا، لا يسعون وراء الشهوات والملذات، وأنهم أقرب إلى الفطرة والخير من أهل الحضر، وقد استمر اهتمام علماء الاجتماع المحدثين بدراسة حياة القبائل البدوية، وما زالت الجهود البحثية متواصلة لفهم قضاياها، خصوصا في سياق التحول نحو الاستقرار والتوطين.

- **علم الاجتماع الحضري**

يعنى هذا الفرع بدراسة تأثير الحياة الحضرية في أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية، والنظم التي تنظم التفاعل داخل المدينة، فالمدينة تعدّ ظاهرة اجتماعية تتشكل بفعل عوامل طبيعية وجغرافية وديموغرافية واجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية ودينية، ومن هنا يهتم علم الاجتماع الحضري بتحليل نشأة المدينة وتطورها وبنيتها والوظائف التي تؤديها في المجتمع.

- **علم الاجتماع التربوي**

يركز هذا الفرع على دراسة العملية التربوية باعتبارها وسيلة للتنشئة الاجتماعية، تهدف إلى تنمية شخصية الفرد وتطبيعه بثقافة مجتمعه. فالتربية، بوصفها ظاهرة اجتماعية، تُدرس في إطار تأثيرها المتبادل مع الظواهر الاجتماعية الأخرى كالنظم السياسية والاقتصادية والتشريعية والبيئية. كما يولي علم الاجتماع التربوي اهتمامًا بدور التربية في تشكيل المتغيرات الاجتماعية من خلال عمليات التفاعل والتطبيع الاجتماعي.

- **علم الاجتماع الجنائي:**

يبحث هذا الفرع في أسباب الجريمة والانحراف، والعوامل الاجتماعية الممهدة لحدوثهما، فهو يدرس معدلات الجريمة، وتعدد أشكالها وأساليبها، باختلاف المجتمعات وتباين ظروفها ونظمها، كما يتناول أثر البيئة الاجتماعية والمعيشية في تكوين السلوك الإجرامي، ويحلل دوافع الجريمة وأنماط التفاعلات المرتبطة بها، إضافة إلى دراسة انعكاساتها على المجتمع..[1]

- **علم الاجتماع الديني:**

يهتم علم الاجتماع الديني بتحليل النظم والتيارات الدينية في مختلف المجتمعات البشرية عبر العصور، ويركّز على تأثير البيئة الاجتماعية في أنماط المعيشة والعلاقات الاجتماعية، باعتبار أن الدين ظاهرة ملازمة لكل مجتمع، كما يدرس هذا الحقل دور العوامل الاجتماعية في تشكيل الأديان ووظائفها، ويحلل الشعائر والمناسبات الدينية واختلافها باختلاف المجتمعات والأزمنة، مثل عادات الأعياد والزواج والوفاة والحداد.

- **علم الاجتماع الريفي:**

يعنى علم الاجتماع الريفي بدراسة الحياة الاجتماعية في البيئات الريفية، حيث يبحث في خصائص المجتمعات الريفية من حيث نمط المعيشة ونظام الإنتاج ذي الطابع البدائي، كما يركّز على الروابط العائلية والعلاقات الاجتماعية الأولية، ويحدد السمات التي تميّز الريف عن المدينة، إضافةً إلى ذلك، يهتم هذا المجال بتحليل البنيان الاجتماعي الريفي، والعادات المرتبطة بالزراعة والصناعات الأولية، والعوامل المؤثرة في التنمية الريفية وإسهامها في الاقتصاد الوطني، فضلا عن دراسة أسباب الهجرة من الريف إلى المدن وسبل الحد منها.

---

[1] بغريش ياسمينة، **محاضرة المدخل إلى علم الاجتماع لطلاب السنة أولى- التعليم القاعدي المشترك- ميدان العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية**، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2، 2015/2014، ص57.

- **علم الاجتماع السياسي:**

يدرس علم الاجتماع السياسي تأثير المتغيرات الاجتماعية في تكوين بنية السلطة السياسية وتطور أنظمة الحكم، فالعوامل الاجتماعية تعدّ محددا أساسيا للظواهر السياسية، التي تتغير تبعا لها، كما يتناول هذا الحقل قضايا مثل الحرية، السلطة، الديمقراطية، الثورة، والرأي العام. إضافة إلى ذلك، يبحث في علاقات الإنتاج ودورها في نشوء الاغتراب وانقسام المجتمع إلى طبقات في الأنظمة الرأسمالية، مع التركيز على موقع الدولة في حماية مصالح الطبقة المهيمنة اقتصاديا.

- **علم الاجتماع الصناعي:**

يختص علم الاجتماع الصناعي بدراسة البناء الاجتماعي للتنظيمات الصناعية والعلاقات القائمة في محيط العمل، بما في ذلك طبيعة النشاط الصناعي وما يرتبط به من ظواهر اجتماعية كالبطالة والتقاعد والفراغ، كما يتناول التحليل الاجتماعي للحرف والمهن وعلاقتها بالبنيان الاجتماعي العام، مسلطا الضوء على التنظيمات المهنية والوظيفية ضمن الإطار الصناعي.

- **علم اجتماع العائلة:**

يبحث علم اجتماع العائلة في خصائص الأسرة وأدوارها الاجتماعية، والعوامل المؤثرة في تكوينها واستمرارها، كما يهتم بتنظيم العلاقات بين أفرادها، ودراسة النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تدعم تماسك الأسرة وتطورها، ويولي هذا المجال اهتماما خاصا بظواهر التفكك الأسري، خصوصًا في المجتمعات الصناعية الحديثة.

- **علم الاجتماع القانوني:**

يعنى علم الاجتماع القانوني بدراسة النظم القانونية وعلاقتها بالحقائق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية، ويعتبر من أبرز ميادين علم الاجتماع الحديثة التي تحظى باهتمام متزايد من جانب كل من القانونيين وعلماء الاجتماع، نظرا لارتباطه المباشر بتنظيم المجتمع وضبط سلوكه.

- **علم اجتماع المعرفة:**

يركّز علم اجتماع المعرفة على دراسة التراكيب الفكرية السائدة في المجتمع، وتحليل ظروف نشأتها وتطورها، كما يربط بين الأفكار والمعايير الاجتماعية والواقع التاريخي للمجتمع، محاولا تفسير مدى انسجامها مع مسار التطور الاجتماعي، ويستند هذا الحقل إلى نتائج البحوث التجريبية في علم الاجتماع لفهم العلاقة بين المعرفة والبيئة الاجتماعية التي تنتجها..[1]

[1] نفس المرجع، ص ص 58، 59.

المحور السابع: المنهج(Method)

1. تعريف المنهج

لغةً :المنهج مشتق من الفعل "نهج"، فيقال: "نهج الطريق" أي سلكه، و"نهج الأمر" أي أوضحه، ومنه "طريق نهج" أي بيّن واضح، وقد ورد في القرآن الكريم" *لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا* " (المائدة: الآية 48)، أي السبيل الواضح والخطة المرسومة. (ابن منظور، 1990).

اصطلاحًا :المنهج هو مجموعة من الخطوات المنظمة والمتتابعة التي يسلكها الباحث للوصول إلى هدف محدد، يتمثل غالبا في صياغة القوانين أو التفسيرات العلمية للظواهر، تمهيدا للاستفادة منها، كما يشير إلى الطريقة أو الكيفية التي يعتمدها الباحث في دراسة مشكلة ما لاكتشاف الحقيقة والإجابة على الأسئلة التي يثيرها موضوع البحث.

<u>يعرّف المنهج أيضا على أنه:</u>

- مجموعة القواعد التي تنظّم عملية البحث وتوجّه خطواته.
- برنامج يحدد الأسلوب الأمثل للوصول إلى الحقائق وطرق اكتشافها.
- طائفة من التوجيهات العامة التي يسترشد بها الباحث مع حرية تعديلها بما يتلاءم مع طبيعة موضوعه.
- سلسلة من العمليات الذهنية والفكرية التي تهدف إلى بلوغ الحقائق والتحقق منها.

وبذلك يفهم المنهج على أنه إطار شامل من الإجراءات العلمية والعمليات الفكرية التي تنظّم سير البحث، وتضمن وصول الباحث إلى الأهداف المنشودة بدقة وموضوعية.

2. البحث الاجتماعي(Social Research)

البحث الاجتماعي هو الدراسة المنهجية لظاهرة اجتماعية محددة داخل المجتمع، إما عبر الوصف أو التحليل القائم على الملاحظة المباشرة والمشاركة، أو من خلال استخدام

بيانات جاهزة وأساليب متنوعة أخرى، ويعتبر البحث الاجتماعي أكثر من مجرد تقنية، فهو طريقة للتفكير وأسلوب في النظر إلى الوقائع، بحيث تصبح المعطيات التي يجمعها الباحث أوضح وأكثر قابلية للتفسير والتحليل.

يعرَّف البحث الاجتماعي بأنه:

- الملاحظة المنظمة والتسجيل المنهجي للسلوك الإنساني داخل الأنساق الاجتماعية، بهدف تطوير نظريات جديدة تفسر هذا السلوك أو اختبار وتقييم نظريات قائمة.
- نشاط علمي أساسه المنهجية والتنظيم، يشكّل جوهر عمل عالم الاجتماع ومحور تعليمه وتدريبه.
- جهد فكري منظم وخلاق يهدف إلى إحكام الصلة بين النظرية الاجتماعية (Theory) والواقع المجتمعي.(Societal Reality)

وعليه، فالبحث الاجتماعي يمثل المعرفة المنظمة والتفكير المنهجي الذي يستند إلى المنهج العلمي، بما يتيح للباحث تجاوز حدود التفكير العادي والوصول إلى تفسيرات علمية دقيقة للظواهر الاجتماعية..[1]

3. علم الاجتماع(Sociology)

– يعرَّف علم الاجتماع بأنه العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية دراسةً علمية منهجية، بغية الكشف عن القوانين والقواعد أو حتى الاحتمالات التي تخضع لها هذه الظواهر في نشأتها وتكرارها وتطورها أو اختفائها، فهو يركّز على السلوك الاجتماعي للأفراد داخل المجتمع من خلال اتباع خطوات البحث العلمي الدقيقة.

[1] ميادة القاسم، **مناهج البحث االجتماعي وتطبيقاتها في علم الإجتماع**، دراسة سوسيولوجية تحليلية، العدد31، قسم علم الاجتماع، كلية الاداب في جامعة ماردين، حلب سابقا، 2021، ص534.

– كما يعرف علم الاجتماع بأنه علم المجتمع الذي يهتم بدراسة البنى الاجتماعية والتفاعلات والعلاقات الإنسانية، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، ويرى غدنز (Giddens) أن علم الاجتماع يمثل "المدرسة العلمية للمجتمع"، إذ يدرس المجتمع دراسة موضوعية، قائمة على الملاحظة والتحليل الميداني، مع التركيز على الظواهر الاجتماعية الملزمة للإنسان من حيث وصفها وتشخيصها وتفسيرها وتأويلها..[1]

4. تصور عام حول المنهج في العلوم الاجتماعية

مفهوم العلم والمنهج:

يعرف العلم في قاموس القرن العشرين للغة الإنجليزية بأنه المعرفة المنسقة الناتجة عن الملاحظة والدراسة والتجريب، ويشير العلماء إلى الطريقة العلمية التي يتبعونها لإنتاج المعرفة والتحقق من صدقها باسم المنهج العلمي أو المنهجية.

المنهجية تعرّف على أنها مجموعة المناهج والتقنيات التي تقود خطوات البحث العلمي، بهدف تحديد طبيعة وأصول الظاهرة موضوع الدراسة، فكل دراسة علمية أصيلة تبدأ بتصور شامل للمنهج، يمنح الباحث رؤية دقيقة وعمقا في اختيار الطريقة العلمية للوصول إلى الحقيقة وأسبابها الخفية، كما أن العلم يرتكز على البحث عن ما هو خفي وراء الظواهر.

الخصائص الأساسية للمنهج في العلوم الاجتماعية

1. لا شفافية الواقع:

- الظواهر الاجتماعية غالبا ما تخفي أسبابًا خفية، لذا يجب على الباحث امتلاك الخيال السوسيولوجي لاستعادة النسيج الاجتماعي المندثر، وفك شفرة الظواهر لإيجاد تفسير واضح لها.

[1] ميادة القاسم، مرجع سبق ذكره، ص535.

- وفق إميل دوركايم، يجب أن يفهم الباحث حقيقة الظواهر قبل البدء في البحث لتحديد الطريقة المناسبة لدراستها.

2. تفسير الاجتماعي بالاجتماعي

- يتم تفسير الظواهر الاجتماعية بواسطة عوامل اجتماعية بحتة، بعيدا عن التفسيرات الدينية أو النفسية أو الميتافيزيقية.
- كل علة اجتماعية تقابلها معلولات اجتماعية قابلة للقياس، ويجب دراسة التأثيرات المتبادلة بين المجتمع وظواهره.

3. ملاحظة الظواهر الاجتماعية كأشياء

- يجب التعامل مع الظاهرة الاجتماعية كشيء مادي مستقل عن الذات الداخلية للباحث.
- المعاني الشائعة والاعتقادات المسبقة لا تعكس الواقع الحقيقي، فهي تشبه "الأصنام" التي تحجب الحقيقة.
- الهدف هو الوصول إلى موضوعية الظاهرة وإدراكها علميًا، كما في العلوم الطبيعية.

4. الاعتماد على المنهج الوضعي

- وفق كونت(A. Comte) ، تعتمد الوضعية على الملاحظة، التجربة، والتكميل الرياضي للوصول إلى القوانين.
- المنهج الوضعي يركز على ما هو موجود بالفعل بعيدا عن المعارف المسبقة أو الذاتية.
- الوضعية تعنى دراسة ما هو كائن (واقع موضوعي)، وليس ما يجب أن يكون (المعيارية).

مراحل المنهج العلمي عند غاسطون باشلار

باشلار قدم تصورا واضحا للمنهج العلمي في ثلاث مراحل منطقية ومعرفية لتحقيق الموضوعية وتجنب الذاتية والإيديولوجيا:

1. مرحلة القطع(Le fait scientifique est Conquis)

- يتم اختيار موضوع البحث بعناية، اعتمادا على الملاحظة الدقيقة للظاهرة.
- تستبعد الأحكام المسبقة والبديهيات الخاطئة، ويكون إدراك الباحث متفكرا وموضوعيا.
- الملاحظة الدقيقة تسمح بصياغة الإشكالية العلمية وتحديد التساؤلات الأساسية.

2. مرحلة البناء(Construit)

- تشمل ترتيب الظواهر ومقارنتها وتحليل علاقاتها وتفسيرها وفق قواعد المنهج العلمي.
- الهدف هو بناء معرفة علمية متماسكة بعيدا عن الذاتية أو التأويلات الإيديولوجية.

3. مرحلة المعاينة أو التجريب(Constate)

- التأكد من صحة النتائج عبر الملاحظة المباشرة والتجريب والتحقق العملي.
- يتيح هذا للمجتمع العلمي التحقق من صحة النتائج ومصداقيتها..[1]

المنهج العلمي

أ/تعريفه وطبيعته:

المنهج العلمي هو آلية إيجابية وفعّالة لتعامل الإنسان مع وقائع عالمه، تعتمد على التآزر بين قدرات الذهن ومعطيات الحواس، وهذه الآلية كامنة في كل عقل بشري، وتمثل الطريق الواضح الذي يسلكه العلماء لتنظيم أبحاثهم وتحقيق نتائج موثوقة يمكن البناء عليها.

ينظر إلى المنهج العلمي على أنه طريقة تفكير منظمة ومثمرة، يمكن تطبيقها على أي واقع للوصول إلى نتائج محددة، فهو السبيل الذي يتيح للباحث دراسة الظواهر وفهم العلاقات بينها، مع التأكيد على أن هذه الظواهر مستقلة عن آراء الفرد وتصوراته، وتخضع لقوانين ثابتة يمكن التعرف على خصائصها وفهم كيفية عملها.

[1] نفس المرجع، ص6.

تعريفات معاصرة للمنهج:

- يعرف المنهج على أنه الطريق الذي يعتمد على قواعد عامة لجمع البيانات وتحليلها للوصول إلى نتائج ملموسة، بالجمع بين الاستنباط والاستقراء.
- عبد الرحمن بدوي يعرفه بأنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، عبر طائفة من القواعد العامة التي تنظم العمليات العقلية وتوجهها للوصول إلى نتائج محددة.[1]

ب/أهم ميزات المنهج العلمي

1. **استقلال الظواهر** :الظواهر ومكوناتها موجودة خارج نطاق الفرد واتجاهاته.
2. **قابلية القياس والتفسير** :الظواهر تخضع لقوانين ثابتة يمكن كشفها وتحليلها.
3. **الوصول إلى المعرفة** :المنهج يتيح الوصول إلى الحقائق، اختبارها، تعميمها، وبناء النظريات.

ج/ أنواع المناهج :

يوجد العديد من التقسيمات الحديثة لمناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، وبحسب تصنيف أبرز الباحثين :

قسم "ويتني" مناهج البحث إلى سبعة أنواع رئيسية، وهي كالآتي:

❖ **تصنيف ويتني:**

- المنهج التاريخي.
- لمنهج الوصفي.

[1] عبد الله قلش، **مطبوعة منهجية البحث العلمي**، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، 2017/2016، ص61.

- المنهج التجريبي.
- المنهج الفلسفي.
- المنهج التنبؤي.
- المنهج الإبداعي.
- المنهج الاجتماعي.

❖ **تصنيف ماركيز** : قسم "ماركيز "مناهج البحث إلى ستة أنواع رئيسية، وهي كالآتي:

- المنهج الفلسفي.
- المنهج التاريخي. الانثروبولوجي.
- منهج دراسة الحالة.
- لمنهج التجريبي.
- منهج الدراسات المسحية.[1]

❖ **تصنيف"جود وسكيتس":**

قسم "جود وسكيتس" مناهج البحث إلى خمسة أنواع رئيسية، وهي كالآتي:

- المنهج التاريخي.
- المنهج التجريبي.
- المنهج الوصفي.
- منهج دراسة النمو والتطور.

[1]محمد العيمش، **منهجية أو طريقة تطبيق المناهج العلمية في العلوم الاجتماعية**، مجلة أفانين الخطاب، المجلد01، العدد02، 2021، ص ص 55، 56.

- منهج دراسة الحالة.

أهم مناهج البحث العلمي:

من أهم المناهج المستخدمة في البحث العلمي وطبيعة عملها:

1. **المنهج الوصفي** يشمل المنهج الوصفي دراسة الحالة والمسوحات وتحليل الوظائف، ودراسة التطور، والبحث المكتبي، ويعتمد على دراسة الظواهر ووصفها كما تحدث تماما وبشكل دقيق، والتعبير عنها بشكل كمي أو كيفي، ويعد من أهم المناهج المستخدمة في مجال البحوث الإنسانية والاجتماعية

2 . منهج الدراسات المسحية

يعتمد منهج الدراسات المسحية على دراسة المواضيع من خلال جمع البيانات والمعلومات حولها، بالاعتماد على عدد كبير من الحالات ضمن وقت معين، وبعدها يتم تحليل وتفسير تلك البيانات من أجل التوصل إلى النتائج، ويتم الاتصال المباشر مع الأشخاص الذين يمتلكون المعلومات التي تفيد الباحث في الدراسات المعتمدة على هذا النوع، ويُعد من أهم المناهج المستخدمة في الأبحاث الوصفية.

- **خطوات تطبيق المنهج الوصفي:**

بناء على دراسة ماهية المنهج الوصفي، وخصائصه تبين انه يتم تطبيق هذا المنهج في الحالات التي يرغب فيها الباحث إجراء دراسات وصفية للظواهر، من أجل تحديد ماهيتها وجوهرها وخصائصها وتفسير الوضع القائم لها، كما راينا ان تطبيقه يشمل معظم الدراسات لأنه اي دراسة مهما كان نوعها او غرضها فإنها بحاجة الى التعريف بالظواهر وتحديد ابعادها ومعالمها الرئيسية، وكما هو الحال بالنسبة لمعظم المناهج فان تطبيق المنهج الوصفي يخضع لمجموعة من الخطوات الرئيسية، التي يمكن تحديدها في النقاط التالية:

- تحديد الظاهرة او المشكلة المدروسة وهي خطوة ضرورية لتطبيق كل المناهج، إذ يجب تحديد الظاهرة المدروسة والظروف البيئية التي تتم فيها دراسة الظاهرة لان طبيعة الظواهر تختلف بحسب الظروف البيئية السائدة، ولهذا يجب على الباحث كخطوة أولى القيام بتعريف الظاهرة والظروف البيئية المحيطة بها.
- تحديد معالم الظاهرة والجوانب الغامضة فيها والتي تتطلب الدراسة والتحليل، التعرف على خصائص الظاهرة والتأكد من الوجود الحقيقي لها، حتى يمكن للباحث تمييز الظاهرة او القضايا التي يقوم بدراستها، ولا يكون هناك اختلاط وتداخل في المفاهيم والاشياء المدروسة.[1]
- تحديد متغيرات وابعاد الظاهرة وطبيعة العلاقات بينها وطرق واساليب قياسها، وطبيعة البيانات والمعلومات الضرورية لدراستها وطرق وأساليب جمعها.
- جمع الحقائق والبيانات الضرورية للدراسة وتنظيمها وتبويبها تحليل وتفسير البيانات والحقائق المتحصل عليها: فالحقائق بشكلها الخام لا يمكن أن تعطي أي فهم أو نتيجة ما إلا من خلال العمل على تحليلها وتفسيرها بالاعتماد على مختلف العمليات والنماذج والأساليب المعتمدة في ذلك.
- التوصل الى نتائج تخص العوامل المؤثرة في الظاهرة وظروفها وابعادها وخصائصها، والتعرف على حقيقتها تفسير الوضع القائم للظاهرة ومختلف العلاقات المكونة لها.
- تحديد اساليب التعامل مع الظاهرة والتأثير فيها، وتقديم كل ما يتعلق بها في صورة تناسب طبيعتها والمستفيدين من نتائج دراستها، وتوضيح مدى الحاجة لاستكمال دراسات مرتبطة بها.[2]

4. **المنهج التاريخي:** يهدف المنهج التاريخي إلى فهم الماضي، وعكس ذلك الفهم على الحاضر والمستقبل من أجل وضع تنبؤات مستقبلية، وذلك من خلال دراسة الأحداث

[1] عبد الله قلش، مرجع سبق ذكره، ص72.

[2] نفس المرجع، ص ص 73، 75.

الماضية ووصفها بالاعتماد على تحليل الوثائق والأحداث التاريخية وتفسيرها بشكل علمي ودقيق والتوصل إلى المعلومات التي تفيد في فهم الماضي، ويعد من أهم المناهج المستخدمة في مجال العلوم الإنسانية والتاريخية.

- **خصائص المنهج التاريخي:**

يركز المنهج التاريخي على دراسة وتحليل الظواهر في فترات زمنية ماضية، اي احداث ووقائع لم يعايشها الباحث، وبالتالي فإنها تعتمد على وسائل وادوات خاصة لجمع وتحليل البيانات والحقائق حول الظواهر، حيث لا يمكن اخضاع ذلك الى التجربة والحس وغيرها، الا بناء على جمع الادلة والشهادات المكتوبة او الشفهية وبناءا على ذلك فإن المنهج التاريخي على خلاف باقي المناهج العلمية، فانه يتميز بمجموعة من الخصائص يمكن ابراز اهمها في النقاط التالية: – يتعلق تطبيق المنهج التاريخي بدراسة ظواهر ماضية غائبة عن الباحث، وبالتالي لا تخضع الى احكام الحس والتجربة. [1]

نظرا لاهتمام المنهج التاريخي بدراسة ظواهر ماضية فانه يعتمد على بيانات وحقائق تاريخية، يمكن الحصول عليها من خلال تحليل الوثائق والمستندات وآثار ومعالم وشهادات موثوق بها. يحتاج الباحث الى تحري وتحليل مدى مصداقية وموضوعية المصادر والوثائق المعتمد عليها في البحث، لان مصداقية وموضوعية نتائج البحث هنا مرتبطة بشكل اساسي بدقة ومصداقية الحقائق المتضمنة في المصادر التاريخية.

يقوم المنهج التاريخي على فرضية وجود علاقات سببية بين الماضي والحاضر واتجاهات الاحداث والظواهر في المستقبل، أي هناك ارتباط كبير الى حد وجود علاقات سببية بين الماضي والحاضر والمستقبل، فأحداث الحاضر نتيجة حتمية لأحداث الماضي، واحداث المستقبل هي ايضا نتيجة لأحداث الحاضر، وعلى هذا الاساس فان دراسة الماضي تفيد في

[1] محمد العيمش، مرجع سبق ذكره، ص57.

تفسير احداث الحاضر ومعرفة اتجاهات الاحداث في المستقبل، يعتمد المنهج التاريخي على دراسة وتحليل الوثائق التاريخية ونقدها وتحديد ما يرتبط بها من حقائق وتفسيرها، حيث لا تعتبر تلك الوثائق ذات قيمة في حد ذاتها وانما هي وسيلة لنقل وتوفير الحقائق اللازمة للدراسة.

كما يعتمد المنهج التاريخي على العديد من المصادر والادلة التي توفرها السجلات والوثائق الضرورية للبحث، كالبقايا الجيولوجية البقايا الاثرية الوثائق والمدونات التاريخية، الموسوعات والتراجم الدراسات والبحوث التقارير الصحفية والمراجع.

يقوم المنهج التاريخي على دراسة الاحداث والوقائع التاريخية في فترت زمنية ماضية، ولهذا فانه يعتمد على دراسة وتحليل الوثائق التي يتعين على الباحث نقدها وتمحيصها وتحري مدى موضوعيتها ومصداقيتها، حيث يوجد اسلوبين متكاملين في تحقيق هذا الغرض وهما:[1]

النقد الخارجي للمصادر والوثائق: ويهدف الى تحديد مصداقية واصالة المصدر، أي فيما ان كانت الوثيقة اصلية او مزيفة او شكلا مختلفا عن الوثيقة الاصلية، ويمكن الاعتماد على **الاسئلة التالية في تحري موثوقية واصالة الوثيقة:**

. من كتب الوثيقة؟

. متى واين كتبت؟

ماهو القصد من كتابتها؟

ويمكن للباحث تحري وتحديد تاريخ ومكان كتابة وتحرير الوثيقة، بناءا على دراسة الظروف والعوامل والخصائص التي تميز تلك الفترة التاريخية ومقارنتها مع الافكار والاقوال التي تحويها الوثيقة، كما تعتبر معرفة الباحث المتعمقة والمتخصصة في موضوع الوثيقة، ومعرفته بطريقة حياة الناس ومعتقداتهم ونمط تفكيرهم وعلاقاتهم الاجتماعية، امر ضروري واساسي في تسهيل

[1] عبد الله قلش، مرجع سبق ذكره، ص76.

عملية التحري وتحديد حقيقة الوثيقة كما تساهم طريقة واساليب وادوات الكتابة التي حررت بها الوثيقة على التأكد من الفترة الزمنية والمكان الجغرافي للوثيقة.

النقد الداخلي للمصادر والوثائق ويركز البحث والتحري هنا على موضوع الوثيقة ومحتوياتها من المعلومات والحقائق التاريخية، إذ يمكن الاعتماد على الاسئلة التالية اثناء تحري ونقد مضمون الوثيقة:

- هل المعلومات والحقائق المتضمنة في الوثيقة دقيقة وموضوعية؟
- هل الشهود على درجة من الثقة؟ من حيث القرب الزماني والمكاني من الاحداث.
- هل النصوص وطريقة التعبير مناسبة؟
- هل الحقائق والمعلومات واقعية وتتناسب مع الظروف والاحداث السائدة في تلك الفترة؟

حيث تتطلب عملية نقد وتحري الوثيقة من حيث المضمون دراسة تحليلية معمقة لمختلف الافكار والحقائق والمعلومات التي تحويها من كافة النواحي مع ضرورة ربطها بالبيئة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والطبيعية التي كانت تميز تلك الفترة، كما يلزم الامر في بعض الاحيان معرفة ببعض المبادئ والقواعد العامة بالعلوم الأخرى، كعلم النفس والاجتماع والاقتصاد والرياضيات والفيزياء وغيرها، وخاصة اذا كانت الوثيقة تعتمد او تصف حقائق وظواهر متعلقة بمجال علم من العلوم، وهذا ما يتطلب الامر الاستعانة بعلماء وباحثين متخصصين في مجالات معينة بحسب طبيعة الوثيقة. من اجل التأكد من مدى مصداقية وموضوعية تلك الوثيقة في وصف الحقائق التاريخية.

- **خطوات تطبيق المنهج التاريخي:**

يكمن جوهر المنهج التاريخي في دراسة وتحليل احداث وظواهر تاريخية مرت على وقوعها فترة من الزمن، وهذا بغرض الوصول الى تفسيرات لها، وربط ذلك بالظواهر والاحداث الحاضرة واتجاهاتها المستقبلية وفق علاقات سببية، ومن اجل الوصول الى نتائج موضوعية ودقيقة

حول تفسير الظواهر والاحداث التاريخية وربطها بالحاضر، واتخاذها كأساس لتفسير اتجاهاتها المستقبلية يتم اتباع الخطوات الرئيسية التالية:

- تحديد الظاهرة او المشكلة التي سيتم دراستها.
- تحديد الفترة التاريخية التي سيتم تتبع الظاهرة خلالها.
- تحديد ودراسة الظروف والعوامل المحيطة بالظاهرة والمميزة لبيئة الظاهرة خلال تلك الفترة التاريخية مجال الدراسة.
- جمع الحقائق والبيانات حول الفترة التاريخية والتحقق من مصداقيتها وموضوعيتها. دراسة الاحداث والوقائع وتحليل المواقف ذات العلاقة بالظاهرة، وتحديد العوامل ذات التأثير الواضح على الظاهرة.
- دراسة وتحليل العلاقات السببية بين ظهور وتطور الظاهرة، وما يرتبط بها من تأثيرات ونتائج، بما يساعد على تفسير الظاهرة تاريخيا وحاضرا وتحديد اتجاهاتها مستقبلا.[1]

5. المنهج التجريبي:

يتميز المنهج التجريبي عن غيره من المناهج بوضع فرضياتٍ حول ظاهرة معينة وإجراء التجارب وضبط المتغيرات التي لها علاقة بالموضوع ودراسة العلاقة بينها من أجل اختبار صحة تلك الفرضيات والتوصل إلى النتائج؛ وعليه فهو يعد من أقرب المناهج التي تتبع الطريقة العلمية في البحث.

- **اسس وخصائص المنهج التجريبي:**

يقوم المنهج التجريبي على مجموعة من الخصائص والاسس التي تجعله متميز عن باقي المناهج، وذلك كونه يحاول استقراء وكشف العلاقات بين المتغيرات التي عادة ما تكون متداخلة ومتعددة يصعب على الباحث تحديد اثر احد العوامل، بدقة، إلا إذا لجأ إلى عزل أثر المتغيرات

[1] عبد الله قلش، مرجع سبق ذكره، ص ص 77، 78.

الأخرى، وهذا ما يمكن تحقيقه من خلال المنهج التجريبي الذي يتيح للباحث تعديل وتغيير وضبط الظروف والعوامل المتحكمة في الظاهرة المدروسة، ومن ثم قياس الاثر المرغوب بدقة وموضوعية من دون تداخل في العلاقات الامر الذي يجعل نتائج هذا المنهج اكثر دقة وموضوعية، مع امكانية اعادة التجربة واختبار صدق القضايا العلمية في ظروف مماثلة او في ظروف مختلفة، الأمر الذي جعل بعض المفكرين يرون ان الحقائق والقضايا العلمية هي تلك التي يمكن اخضاعها للمنهج التجريبي، ونظرا لأهمية المنهج التجربي ومصداقيته في كشف الحقائق العلمية واختبار صدقها، سنحاول ابراز اهم خصائص واسس هذا المنهج على النحو الآتي:

- يعتبر المنهج التجريبي من اقوى المناهج في تطبيقه للأسلوب العلمي عند دراسة الظواهر والمشكلات، ولهذا فان نتائجه اكثر دقة وموضوعية.
- يمكن تطبيق المنهج التجريبي عند دراسة العلاقات بين المتغيرات في المناخ الطبيعي للظاهرة، اي ميدان تواجدها مع امكانية تعديل وتغيير الظروف المحيطة بها والتحكم في العوامل المؤثرة فيها، كما يمكن تطبيقه في المختبر اي في ظروف ومناخ اصطناعي يحاكي المناخ الطبيعي مع اجراء تعديلات وتغييرات معينة.
- يتيح المنهج التجريبي للباحث السيطرة التامة على ظروف ومتغيرات التجربة، من خلال ترتيبات وتدابير محكمة، الأمر الذي يمكنه من تحديد طبيعة العلاقات بين المتغيرات وقياسها بدقة.
- يستهدف المنهج التجريبي بشكل اساسي دراسة واستقراء العلاقات السببية بين الظواهر والمتغيرات، وهو لا يطبق الا على الاحداث والظواهر والتغيرات الحالية والتي يمكن ادراكها من خلال الحواس.
- يقوم المنهج التجريبي على احداث تغييرات وتعديلات على الظروف والعوامل المحيطة بالظاهرة، عن طريق الحذف او الاضافة او التغيير والتعديل.

- كما يقوم هذا المنهج على ملاحظة وقياس التغيرات والتطورات التي تحدث على الظاهرة، والناتجة عن تغيير وتعديل المتغيرات التجريبية، حيث يهدف الباحث الى التعرف على العلاقات السببية بين المتغيرات التابعة والمتغيرات المستقلة او التجريبية، وقياس مستوى في المتغيرات التابعة نتيجة ادخال او تغيير المتغير التجريبي.[1]
- يمكن تطبيق المنهج التجريبي من خلال عدة مداخل متعلقة بكيفية قياس الاثر وطبيعة المجموعات المعتمد عليها في التجربة كما سيتم توضيحه لاحقا.
- يمكن ان يعتمد المنهج التجريبي على مناهج اخرى، منها المنهج الاستنباطي والتحليل والمنهج التطوري، كما يتم الاعتماد على عدة مبادئ وقواعد منطقية في استنباط العلاقات واثبات الاثر وقياسه بين المتغيرات محل الدراسة، كما يمكن الاعتماد عليها في اختيار مدخل تطبيق المنهج التجريبي وتصميم تجربته، يمكن توضيح اهم هذه المبادئ فيما يلي :

- **مبدا الاتفاق:** جوهر هذا المبدأ يقوم على ان وجود عامل ما مشترك في جميع الظروف التي تحدث فيها الظاهرة، فان هذا العامل هو السبب المؤدي الى هذه الظاهرة، كما انه يمكن القول ان العامل ليس هو السبب المؤدي لهذه الظاهرة اذا كانت هذه الاخيرة تحدث في ظروف من دون هذا العامل.
- **مبدا الاختلاف:** ينص هذا المبدأ على انه اذا كانت هناك مجموعتين او اكثر من القضايا او الظواهر المتشابهة في كل شيء، ما عدا هذا العامل وان ادخال هذا العامل يؤدي الى نتائج او آثار معينة فان هذا العامل هو السبب المؤدي الى هذه النتائج، ومن ثم اذا كانت هناك اختلافات بين مجموعتين او اكثر من الظواهر تحدث دون وجود عامل معين، فانه لا يمكن القول ان هذا العامل . هو السبب المؤدي الى هذه الاختلافات في الظواهر . **. مبدا الاتفاق والاختلاف معا:** يجمع هذا المبدأ بين تطبيق

[1] عبد الله قلش، مرجع سبق ذكره، ص ص 84، 85.

مبدا الاتفاق والاختلاف على التوالي، فاذا اديا الى نفس النتيجة يكون الباحث على ثقة نهائية وقاطعة بان العامل موضع القياس هو السبب المؤدي الى تلك النتائج.

- **مبدا البواقي (العوامل المتبقية)** :يقوم هذا المبدأ على اساس استبعاد العوامل والمتغيرات، حيث يستطيع الباحث ان يحدد العامل او المتغير الذي يسبب آثار معينة، اذا ما قام باستبعاد العوامل الاخرى التي تؤدي الى نتائج معينة على الظاهرة، وتكون النتائج او الاثار الاخرى مجال الدراسة في الظاهرة ناتجة، عن العوامل المتبقية. مبدا التلازم مفاد هذا المبدأ يتبلور في فكرة ان التغيرات المتلازمة في ظاهرتين او اكثر يدل على وجود رابطة او تلازم بين الظاهرتين او هناك عامل مشترك بينهما يتأثران به، فاذا تبين ان هاتين الظاهرتين يحدث بهما نفس التغير وفي نفس الوقت، فهذا يعني وجود رابطة بينهما او متغير مشترك يتأثران به.

رغم اهمية وموضوعية المنهج التجريبي الا انه يواجه عدة صعوبات في تطبيقه، حيث يتطلب من الباحث مهارات وقدرات فكرية من اجل التغلب عليها يمكن تلخيصها فيما يلي:.

– صعوبة تعميم نتائج تجربة واحدة لأنها اجريت تحت ظروف معينة، مما يتطلب في كثير من الاحيان اعادة التجربة لمرات عديدة سواء تحت نفس الظروف او في ظروف مختلفة من اجل اعتماد النتائج.

- صعوبة تحديد الاجهزة والادوات الملائمة للتجربة وتوفيرها واستخدامها
- صعوبة تحديد العوامل والمتغيرات المتحكمة في الظاهرة والظروف وشروط عملها، مع صعوبة تحديد طبيعة العلاقات بينها وكيفية تأثيرها خاصة وان تلك العلاقات تكون متداخلة ومعقدة مما يجعل هناك صعوبة في فصلها عن بعضها البعض دون التأثير على نتائج التجربة.
- صعوبة السيطرة على المتغيرات والعوامل المتحكمة في الظاهرة.
- صعوبة التحكم والتأثير في عنصر الزمن، وعزل اثر تحيزات الباحث الذي يعمل على

- تحديد ظروف التجربة وتصميمها واستنتاج وملاحظة التغيرات وقياسها وتحليلها وتفسيرها.[1]
- كما ان تطبيق هذا المنهج في ميدان العلوم الاجتماعية بصفة عامة، يواجه بعض المشكلات المتعلقة بتحيز وعدم مصداقية الافراد الخاضعين للتجربة، خاصة اذا ما كانوا على علم بخضوعهم للتجربة، كما ان هناك صعوبة في عزل اثر الممارسة الناتجة عن تعلم مهارات جديدة والتغير في التوجهات والميولات.

➢ **خطوات تطبيق المنهج التجريبي:**

يعتبر المنهج التجريبي من احسن مناهج البحث العلمي، بالنظر الى دقة نتائجه وموضوعيتها، كما انه يمكن الباحث من التحكم في ظروف الظاهرة والعوامل المؤثرة فيها، مما يتيح له تحديد بدقة اثر المتغيرات وقياس قوة العلاقات بينها وتحديد طبيعتها، وهذا ما يتطلب تصميم تجربة وتحديد المتغيرات المدروسة واختيار الاسلوب والمدخل المناسب لدراسة العلاقات، وملاحظة التغيرات وتحليل وتفسير الحقائق وصولا الى استنباط النتائج، يمكن توضيح اهم هذه خطوات من خلال ما يلي:

- تحديد اشكالية وهدف الدراسة.
- تحديد المتغيرات وتوضيح طبيعتها أي تحديد المتغيرات التابعة والمتغيرات المستقلة.
- التعريف الدقيق بمتغيرات الدراسة وتحديد معايير وطرق واسس قياسها.
- تحديد واستقراء الظروف والعوامل المتحكمة والمؤثرة في متغيرات الدراسة وشروطها. التجربة وتحديد مكانها ان كانت تجرى في المناخ الطبيعي للظاهرة او في المختبر. تحديد طرق واساليب اجراء التجربة بحيث تسمح تلك الطرق بتحديد وقياس اثر المتغير

[1] عبد الله قلش، مرجع سبق ذكره، ص ص 86، 87.

تصميم المستقل على المتغير التجريبي واستبعاد اثر المتغيرات الاخرى على المتغير التابع.

- القيام بالتجربة من خلال ادخال المتغير التجريبي على المتغير التابع، واعادة التجربة ان لزم الأمر عدة مرات.

– قياس التغيرات التي تحدث على المتغير التابع والناتجة عن ادخال المتغير المستقل استنباط النتائج المحددة لطبيعة العلاقة واتجاهها وقوتها بين المتغيرات وظروف وشروط التأثير.[1]

6. المنهج المقارن:

يعتبر المنهج المقارن منهجا مستقلا، وبالرغم من ذلك يصعب إتمام البحوث القائمة على التجريبي دون اللجوء إلى مناهج أخرى لمساندتها كالمنهج التحليلي، أو المنهج التاريخي للمقارنة، أو المنهج التجريبي، وقد اعتبر بعض الباحثين أنّ المنهج المقارن عبارة عن منهج شبه تجريبي؛ وذلك لأنه يختبر جميع العوامل التي تؤثر في الظاهرة سواءا الثابتة أو المتغيرة ضمن مجتمعات وأزمنة مختلفة.

- **ولتطبيق منهج المقارنة يجب اتباع الخطوات التالية:**

- تحديد متغيرات وفروض الدراسة
- تحديد موضع ومجال المقارنة حيث تجرى الدراسة على نوعين من الظواهر متجانسين او مختلفين في المكان والنوع والسياق والابنية ... الخ، كدراسة نظامين اقتصاديين في بلدان مختلفة من حيث درجة التقدم.
- تحديد ادوات المقارنة وفيها يتم الكشف عن عوامل ودرجة التماثل والاختلاف بوسائل منطقية واحصائية.

[1] عبد الله قلش، مرجع سبق ذكره، ص88.

- جمع البيانات وتصنيفها وتبويبها.
- قياس وتحليل البيانات وكشف دور الفروقات والتماثلات بين الحالات والوضعيات في تكوين الظاهرة وازدهارها على نحو معين.
- استخلاص اثر الظروف والعوامل على الظاهرة وصياغتها في شكل قانون علمي أو علاقة

رياضية.

7.المنهج التطوري :

وهو المنهج الذي يدرس الظواهر اثناء تغيرها وتطورها من فترة زمنية الى اخرى، اي يدرس كيفية تطور وتغير الظاهرة بغرض تحديد اسباب وعوامل نمو الظاهرة اي هو المنهج الذي يركز على دراسة الظاهرة منذ نشأتها وكيفية تغيرها وتطورها من فترة الى اخرى، من اجل تحديد اسلوب ونمط تغيرها والعوامل والظروف المساهمة في ذلك التغير وطريقة تأثيرها على الظاهرة، وتقديم تفسير منطقي لطبيعة تأثير تلك العوامل على الظاهرة، هذا ويعمل المنهج التطوري على ربط اتجاهات ومعدلات تغيرها مع فترات السلسلة الزمنية وبخصائص البيئة المحيطة بها.[1]

لمنهج التطوري في البحث العلمي

خصائص المنهج التطوري

1. المنهج التطوري يهتم بدراسة حياة الظاهرة وكيفية تغيرها وتطورها عبر الزمن، ويهدف إلى إيجاد تفسير منطقي وموضوعي لاتجاهات ومعدلات تغير الظاهرة، مع تحليل الظروف البيئية المساهمة في هذا التغير، ويمكن تلخيص خصائصه كما يلي:

[1] عبد الله قلش، مرجع سبق ذكره، ص ص 73، 93.

2. يركز على دراسة وتتبع سيرة حياة الظاهرة وتطورها عبر فترات السلسلة الزمنية، وكيفية انتقالها من حالة إلى أخرى.

3. يطبق في دراسة الظواهر والمشكلات التي تتغير وتتطور مع الزمن، ويربط التطور بفترات السلسلة الزمنية.

4. يدرس اتجاه ومعدل تغير الظاهرة، ويربط ذلك بالظروف البيئية المحيطة، بغرض تفسير نمط تأثير العوامل البيئية على الظاهرة.

5. يهتم بـ نشأة الظاهرة وتطورها خلال فترة زمنية قد تشمل كامل حياة الظاهرة أو جزءا منها.

خطوات تطبيق المنهج التطوري:

لكي يتمكن الباحث من تحليل الظاهرة وتفسير تغيرها وفق المنهج التطوري، يتبع الخطوات التالية:

1. **تحديد الظاهرة أو المشكلة محل الدراسة:** خطوة أساسية لا يمكن البدء بالدراسة دونها.

2. **التعرف على نشأة الظاهرة:** دراسة الظروف المحيطة بالظاهرة وتحليل الأسباب والعوامل المساهمة في ظهورها.

3. **دراسة نمط واتجاه تغير الظاهرة:** تحليل طبيعة التغير وربطها بالظروف المحيطة وبفترات السلسلة الزمنية.

4. **تحليل علاقة تطور الظاهرة بفترات السلسلة الزمنية:** ربط التغيرات الزمنية بالظروف البيئية المحيطة لتفسير طبيعة التطور.

5. **تفسير نمط واتجاه ومعدل تغير الظاهرة:** تحديد الأسباب والعوامل الحقيقية الكامنة وراء التغير، وصياغة النتائج في شكل قوانين أو علاقات سببية تفسر كيفية وطريقة تغير الظاهرة وأسباب هذا التغير.[1]

- **تصنيف مناهج البحث العلمي:**

يعد من الصعب الاتفاق على وجود تصنيف محدَّد لمناهج البحث لدى الباحثين؛ وذلك لأن بعضهم يعتمدون في كتابة أبحاثهم على نموذج رئيسي في المناهج، ويعتبرون أن باقي المناهج مجرد تفرعات وأجزاء من ذلك المنهج النموذجي، وبشكل عام يمكن إدراج البحث نفسه لأكثر من نوع من أنواع المناهج، وقد صنف الباحثون مناهج البحث العلمي وفقا للعديد من التغيرات على النحو الآتي:

- **نوع العمليات:**

تقسم مناهج البحث وفقاً للعمليات العقلية التي تسير بناءً عليها إلى ثلاثة أنواع وهي كالآتي:[2]

مناهج البحث العلمي وفق الأسلوب المنطقي والإجرائي

أولاً: مناهج البحث وفق الأسلوب المنطقي

1. **المنهج الاستدلالي (الاستنباطي)**

يبدأ الباحث فيه من الكليات والعموميات للانتقال إلى التفاصيل والأجزاء، اعتمادا على المنطق والتأمل الذهني للوصول إلى النتائج.

2. **المنهج الاستقرائي**

[1] عبد الله قلش، مرجع سبق ذكره، ص ص 74، 75.

[2] محمد العيمش، مرجع سبق ذكره، 58.

يبدأ الباحث في هذا المنهج من دراسة الأجزاء والتفاصيل للانتقال إلى القوانين العامة والعموميات، ويعتمد على الملاحظة المنظمة، التجريب، وضبط المتغيرات للوصول إلى النتائج.

3. **المنهج الاستردادي**

يركز هذا المنهج على استعادة الأحداث الماضية والتحقق منها من خلال دراسة ما وقع سابقا وتحليله للوصول إلى استنتاجات دقيقة.

ثانياً: مناهج البحث وفق الأسلوب الإجرائي

تقسم مناهج البحث وفق الأسلوب الإجرائي إلى أربعة أنواع رئيسية:

1. **المنهج التجريبي**

يعتمد على أداء التجارب العملية وفق شروط محددة، مع التحكم في المتغيرات للوصول إلى نتائج دقيقة قابلة للتحقق.

2. **المنهج المسحي**

يقوم الباحث بجمع البيانات الميدانية باستخدام وسائل متنوعة، ويشمل الدراسات:

- التحليلية
- الكشفية
- الوصفية

3. **منهج دراسة الحالة**

يركز على دراسة وحدة معينة، سواء كانت وحدة اجتماعية أو فردا واحدا، باستخدام مقاييس واختبارات مخصصة وفق أهداف البحث.

4. **المنهج التاريخي**

يعتمد على دراسة الأحداث الماضية من خلال الوثائق والآثار التاريخية، مع التركيز على الكم والكيف لتفسير الظواهر وتحديد أسبابها.[1]

تقسَّم مناهج البحث وفقا للكم والكيف إلى نوعين وهما كالآتي: المنهج الكمي. المنهج النوعي. الحداثة والتقليدية:

✓ تقسم مناهج البحث وفقا للحداثة والتقليدية إلى نوعين، وهما كالآتي:

- المنهج التقليدي.
- المنهج الحديث.

- **معايير تصنيف مناهج البحث العلمي:**

أولاً: طبيعة المنهج أو الأسلوب العلمي

يمكن تقسيم المناهج العلمية بحسب طبيعتها أو الأسلوب العلمي المتبع إلى نوعين رئيسيين:

1. **المنهج النظري**

يتميز المنهج النظري بوجود إطار واضح يحدد الأسس والعناصر المتبعة لدراسة الظواهر بشكل شامل، والتوصل إلى نتائج دقيقة.

من أبرز المناهج النظرية:

- المنهج الوصفي
- المنهج التاريخي
- المنهج الاجتماعي
- المنهج الأخلاقي

2. **المنهج التطبيقي**

[1] محمد العيمش، مرجع سبق ذكره، ص 59.

يختلف المنهج التطبيقي عن النظري بعدم الاعتماد على إطار نظري شامل، بل يركز على التطبيق العملي للبحث للوصول إلى النتائج.

من أبرز المناهج التطبيقية:

- المنهج التحليلي
- المنهج المقارن
- المنهج الإحصائي
- المنهج التجريبي

ثانياً: طبيعة الظاهرة أو الحدث المدروس

تحدد طبيعة الظاهرة أو الحدث المدروس نوع المنهج الأنسب، إذ يمكن أن تتقاطع بعض الأبحاث عند دراسة موضوعات متشابهة، لا سيما في العلوم الاجتماعية، حيث تشترك العديد من الدراسات في خصائص محددة للمنهج العلمي.

خصائص مناهج البحث العلمي

رغم اختلاف المناهج، فإنها تشترك في مجموعة من الخصائص الأساسية، منها:

1. اتباع طريقة منظمة في التفكير والعمل تعتمد على الملاحظة الدقيقة والحقائق العلمية.
2. تنفيذ خطوات البحث بشكل متسلسل ومترابط لضمان نتائج دقيقة.
3. اتصاف الباحث بـ الموضوعية والحياد، والابتعاد عن الذاتية والتحيّز.
4. الاعتماد على المناهج العلمية لاختبار النتائج في أماكن وأوقات مختلفة.
5. القدرة على دراسة الظواهر المماثلة ومعالجتها بصورة منهجية.

6. القدرة على التنبؤ بما ستكون عليه الأحداث المستقبلية بناءً على نتائج البحث.[1]

[1] محمد العيمش، مرجع سبق ذكره، ص ص 60، 61

المراجع:

1. أوغست كونت، موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمة خالد أبو هريرة، 2022.
2. بغريش ياسمينة، محاضرة المدخل إلى علم الاجتماع لطلاب السنة أولى– التعليم القاعدي المشترك– ميدان العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2، 2015/2014.
3. بن حمزة حورية، محاضرات في مقياس مدخل الى علم الاجتماع موجهة لطلبة سنة اولى علوم اجتماعية ل م د–، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف–، 2020/2019.
4. بوغرزة رضا، محاضرات في مقياس مدخل في علم الاجتماع، مطبوعة موجهة لطلبة التعليم الأساسي للعلوم الاجتماعية –سنة أولى–، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التعليم الأساسي للعلوم الاجتماعية، جامعة محمد الصديق بن يحيى –جيجل–، 2019/2018 .
5. جميل حمداوي، نظريات علم الاجتماع، ط1، د.ن، 2015.
6. الجواد احمد، مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشروق، القاهرة، مصر، 1983.
7. جوهري عبد الهادي، تاريخ الفكر الاجتماعي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1999.
8. حيل فداوي: مقدمة في علم الاجتماع، 2015.
9. دبراسو فطيمة ونجن سميرة، سوسيولوجيا المنهج عند دوركايم، جامعة محمد خيضر بسكرة.
10. دريسي حنان، محاضرات في مقياس مدخل إلى علم الاجتماع، مطبوعة بيداغوجية، موجهة لطلبة السنة أولى ليسانس – جذع مشترك – علوم، سياسية وعلاقات دولية، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم الدراسات الدولية، جامعة الجزائر3، 2021/2020.

11. ذ. شفيق، وحدة أسس علم الاجتماع، المحاضرة التاسعة والعاشرة، جامعة ابن طفيل–كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية القنيطرة مسبك علم الاجتماع، 2021/2020.
12. رباح مجيد الهبتي، النظريات الاجتماعية.
13. الزيود اسماعيل محمد، علم الاجتماع، عمان، دار الكنوز للمعرفة والنشر والتوزيع، 2010.
14. سنوسي فضيلة، محاضرات في مقياس مدارس ومناهج، مطبوعة موجهة لطلبة التعليم الأساسي العلوم الانسانية – سنة أولى –، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة–، 2020/2019.
15. السويدي سامي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. بيروت: دار الروافد الثقافية. 2005.
16. صبرا بن بلقاسم ايمان، محاضرات في مقياس مدخل في علم الاجتماع، مطبوعة موجهة لطلبة التعليم الأساسي للعلوم الاجتماعية –سنة أولى–، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم للعلوم الاجتماعية، جامعة زيان عاشور –الجلفة–، 2020–2021.
17. عبد الرحمان فريجة، محاضرات في مقياس مدخل في علم الاجتماع، المحاضرة الخامسة، مطبوعة موجهة لطلبة التعليم السنة الاولى ليسانس تخصص علوم سياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم الساسية، جامعة ام البواقي – ام البواقي–، 2025/2024.
18. عبد الرحمن عبد الله محمد، النظرية في علم الاجتماع– النظرية الكلاسيكية– دار المعرفة الجامعية، 2006.
19. عبد الرحمن عبد الله محمد، علم الاجتماع النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية، جامعة بيروت العربية، 1999.
20. عبد المعبود مرسى محمد، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي –دراسة تحليلة ونقدية–، الطبعة الاولى، (القيصم، السعودية: مكتبة العليقي الحديثة.ب.س.ن.،)

21. عمار عبد الرحمن، مدخل إلى علم الاجتماع. القاهرة: دار الفكر العربي، 2012.
22. العيمش محمد، منهجية أو طريقة تطبيق المناهج العلمية في العلوم الاجتماعية، مجلة أفانين الخطاب، المجلد01، العدد02، 2021.
23. غربي محمد وقلواز ابراهيم، النظرية البنائية الوظيفية: نحو رؤية جديدة لتفسير الظاهرة الاجتماعية، مجلة التمكين الاجتماعي، العدد الثالث، المجلد الاول، سبتمبر، 2019.
24. قلش عبد الله، مطبوعة منهجية البحث العلمي، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، 2017/2016.
25. القمني، سيد. الحزب الهاشمي، وتأسيس الدولة الإسلامية. القاهرة: مدارات للنشر، 2003.
26. ميادة القاسم، مناهج البحث االجتماعي وتطبيقاتها في علم الإجتماع، دراسة سوسيولوجية تحليلية، العدد31، قسم علم الاجتماع، كلية الاداب في جامعة ماردين، حلب سابقا، 2021.
27. Max Weber: Economie et société, Poquet, 1995, p.28.